مجلة كلية الاداب / البصرة / ع١٥س ١٩٧٩

إمارة العصفوريين ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة العربية

د. عبد اللطيف الناصر الحميدان

المقـدمـة :

ان مما يثير دهشة وحيرة المتتبع لتاريخ شبه الجزيرة العربية ذلك الغموض الذي يكتنف حقبة طويلة من تاريخ المنطقة الممتدة من كاظمة شمالا لتنتهي جنوبا بعمان الشمالي ويدخل ضمن ذلك سلسلة من الجزر الواطئة والواقعة في الخليج العربي والمجاورة للساحل والمحاطة ببحر ضحل مملوء بالحواجز الرملية وقد استقرت في قاعه اشهر مغاصات اللؤلؤ الطبيعي في العالم من حيث الجودة والانتاج ، واكبرها حجما واوسعها شهرة جزيرة اوال (البحرين) ٠

اما النهايات الغربية لهذه الرقعة الجغرافية ، المعنية بالبحث فتتصل باليمامة ٠ لقد تعارف البلدانيون العرب الاوائل على اطلاق اسم بلاد البحرين على هذه الرقعة ، وهي بهذا الاتساع والامتداد تشمل في الوقت الحاضر دول شرق الجزيرة العربية كافة ، ابتداء بالكويت وانتهاء بعمان الشمالي ٠ فتاريخ بلاد البحرين هو في الواقع يشكل جزء رئيسا وهاما من تاريخ دول شرق الجزيرة العربية كافة ٠

ان هذا الاتساع والامتداد لبلاد البحرين وعدم وجود موانع طبيعية تفصلها عما يحيط بها ويجاورها ويصعب اجتيازها ، قد ادى الى ارتباط تاريخها ارتباطا عضويا ووثيقا بتلك المناطق عبر العصور المختلفة ٠ وهذه الحقيقة تستلزم من الباحث المدقق الذى يحاول التصدي لاماطة اللثام عن الغموض الذي يكتنف تاريخ شرق الجزيرة العربية خصوصا وتاريخ الخليج العربي عموما بان لا يكتفي بمصادر واحداث المنطقة وحدها بل عليه ان يجول بناظريه نحو المناطق المجاوره ليستوعب احداثها وينقب في مصادرها الخاصة والعامة ٠

والواقع فان منطقة الخليج العربي ليس اصطلاحا جغرافيا يدل على رقعة محدودة من سطح الارض فحسب وانما يشير كذلك الى لون معين من الحياة ، فهي تغرى الباحث في التاريخ الحضاري بدراستها كمنطقة متحدة داخليا، اذانه بالرغم من المؤثرات الخارجية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تعرضت لها عبر العصور فانها كانت بودقة انصهرت فيها هذه المؤثرات المتنوعة وبقيت تمتلك وحدتها الداخلية في البناء والتنظيم ، فموجات الهجرات البشرية المتبادلة بين سواحلها من جهة ، وكذلك فيما بينهاوبين السواحل المحيطة بالبحار العربية والتي كانت تجري تحت ضغط الظروف الطبيعية والحاجات البشرية المتبادلة هي من عوامل وحدتها • وبالرغم من وجود المغريات لدراسة الخليج العربي كوحدة فان هنالك اعتبارات اجتماعية وتاريخية وسياسية تدعو الباحث لابراز خصوصيات الدور الذي لعبه كل جزء من اجزائها عبر مختلف العصور وبشكل متميز •

ان بحثنا هذا ما هو في الواقع الا الحلقة الاولى من سلسلة دراسات تتناول تاريخ الخليج العربي في العصر الوسيط والحديث ، وسوف يكرس لابراز الصورة المميزة لتاريخ بلاد البحرين للفترة الممتدة منذ مطلع القرن الحادي عشر حتى مطلع القرن السادس عشر ، وهي من اشد فترات المنطقة غموضا الامر الذي حمل الباحث النجدي سليمان الدخيل على القول بانه يشكل على المؤرخين الوقوف على حوادثها ووقائعها في اوقاتها(١)• ومع بروز الاهمية الاقليمية والدولية لمنطقة الخليج العربي في عصرنا الحاضر وظهور الكيانات السياسية المستقلة فيها ، ازداد الاهتمام بتاريخ المنطقة واخذت تظهر دراسات عديدة وبلغات مختلفة الا ان الباحثين قد احجموا حتى الان عن ارتياد هذه الفترة او انهم مروا بها مروا عابرا لسبب رئيس هو قلة مصادرها ان لم يكن ندرتها ولادراكهم ايضا مدى الجهد المضني الذي يحتاجونه لجمع شتات المادة المتناثرة هنا وهناك والتقاط الاشارات من المصادر النادرة وبلغات متعددة •ولقد عبر الاستاذ ابو حاكمه عن اسفه لعزوف الباحثين عن محاولة الكشف عن تاريخ الخليج العربي خلال العصور السابقة لعصرنا هذا ووصف دراساتهم التي ظهرت حتى الان بانها دراسات عصرية لا تتجاوز « عصر النفط » الاقليلا(٢)• ان هذه الفجوة في معلوماتنا عن تاريخ الخليج العربي تشكل نقطة ضعف كثيرا ما استغلت للتشكيك بالهوية القومية والتاريخية للسواحل العربية ولترديد ادعاءات سياسية وقومية فيها ، كما رسمت صورة تاريخية للمنطقة بنيت اساسا على تجاهل دور العرب في صنع احداثها لكي ينسجم ذلك ومثل هذه الادعاءات وعلى الرغم ن ان مثل

هذه الادعاءات قد خفت الى حد كبير فان اثارها الثقافية لا تـزال باقية ، الامر الذى يستلزم التصدى بموضوعية لرسم صورة اقـرب الى وقائـــع التاريخ لتتجاوز على الصورة المنحازة التي رسمت لتاريخها (٣) ٠

توطئة في السمات العامــة لبــلاد البحريـــن

قبل التطرق لتاريخ بلاد البحرين خلال الفترة المنوه عنهـــا سابقا ، يستحسن ان نشير ولو اشارة موجزة جدا الى المظاهر العامة لبيئتها الطبيعية

والتي اثرت اعمق الاثر في حياتها وطبعت تاريخها السياسي والاجتمـاعي والاقتصادى بطابعها ، واول هذه المظاهر سعة رقعتها الزراعية بالمقارنة مـع كثير من مناطق جزيرة العرب ، حيث تتوفر فيها المياه الغزيـرة والعيون التي تجرى مياهها على سطح الارض ، اضافة الى قرب مياهها الباطنية من سطح الارض ، وهذا العامل ساعد علىامتداد الرقعة الزراعية فيها والتي كانت في العصور الماضية اكثر اتساعا مما هي عليه اليوم ٠ ويستدل على ذلك اولا من كثرة اسماء القري والمستوطنات المأهولة بالسكان والتي اورد ذكرها البلدانيون العرب ، الا ان كثيرا منها قد اختفى من خارطة الاقليم في الوقت الحاضر ، وثانيا انالابحاث الحديثة قد ابدت ايضا اتساع الرقعة الزراعيةفي الماضي(٤)٠
لقد وفرت هذه الظروف الطبيعية المستلزمات الضرورية لقيام حيـــاة مستقرة تعتمد على الفعاليات الزراعية وسد الطلب على المنتجات الزراعيـــة لكل من سكان البوادي واسواق الخليج العربي ، بل وتصدير مـا يفيض عـن ذلك وخصوصا التمور الى السواحل المطلة على البحار العربية والمحيط الهندي٠
ان هذه البيئة الزراعية قد فرضت وجود نشاط اقتصادي ذي اوجــه متعددة وقيام علاقات انتاجية وتركيب اجتماعي في المنطقة يختلف في كثيـر من خصائصه عما حوله من بوادي ٠ ففي مثل هذه البيئة يفترض سعي سكانها لاقامة سلطة تعمل على توفير الامن والنظام وحمايتهم من خطر سكان البوادي المتربصين دائما بالمنطقة ، وكذلك الاشراف على توزيع المياه وحماية مصادرها من الاندثار وتنظيم الـعلاقة بين المستثمرين والمنتجين واوجـــه النشاطـات الاقتصادية الاخرى ، وكل ما ينشأ عنها من علاقات اجتماعية وقانونية ، الامر الذي يستلزم وجود اجهزة متخصصة وقوة رادعة ٠ ان السلطة التي تقوم في مناطق الاستقرارمن بلاد البحرين سوف يكون من اهدافها الاستراتيجية الثابته هو التطلع لتحقيق صلة وثيقـةبالبيئتين المجـاورتين ، وهمـا البيئـــة الصحراوية ، والبيئة البحرية ، وان تسعى لاقامـة هذه الصلة امـــا بطريق الاخضاع المباشر أو باقامة التحالفات القائمة على اساس المنافـع المشتركة ٠

وكثيرا ما ينشأ عن ذلك حروب مع سكان هاتين البيئتين · ان نجاحها في ذلك سوف يحقق ربط طرق التجارة البحرية بطرق التجارة البرية ، الامـر الذي ينتج عنـه نفعا اقتصاديا كبيرا لمناطـق الارياف ويحقق الاستقرار السياسي والاقتصادي فيها والنقطة الاخيرة والجديرة بالاشـارة هنا هـو ان سكان المنـاطق الزراعيـــة نظرا لارتباطهم بالارض وبالملكيات الثابته هم اطـوع للحكام واسهل خضوعا للسلطة بل واستغلالا من قبلها ومن قبل طبقة الملاكين ، وهذا على عكس الحال في البيئتين المجاورتين البحرية والصحراوية ·

اما المظهر الثاني لبلاد البحرين فهو البيئـة البحرية ، اذ ان طـول سواحلها الممتدة على الخليج العربي وكثرة تعاريجها ادى لان يلعب سكانها دورا مؤثرا في كافة اوجه النشاط التي تحدث في المنطقة كما انها اصبحت من المناطق التي تستقبل التأثيرات من خارج حدودها عن طريق سـواحلها وجزرها ، ونظرا لكون المناخ والبيئةالصحراوية هي السائدة في بلاد البحرين فان الامر قد ادى لان تصبح بيئة طاردة لسكانها نحو البيئة البحرية المجاورة والتي هي اكثر غنى وضمانا فيما تغله من ثروة سمكية في مياهها ومن لؤلؤ في اعماقها ومن فرص للربح في النشاط التجاري مع الخارج ، ومما هـو جدير بالذكر هنا ان النشاط الاقتصادي لسكان السواحل والجزر في حرفتي صيد الاسماك واستخراج اللؤلؤ يتزامن مع النشاط الاقتصادي لسكانالارياف في بلاد البحرين في جني محصول التمر · على ان هناك وجه شبه بين حياة سكان البيئة البحرية والبيئة الصحراوية فاذا كان البدو ينتقلون مع قطعانهم من مكان الى اخر طلبا للماء والكلأ فان عرب السواحل والجزر ينتقلون هم ايضا من مكان الى اخـر عندما تضطـرهم الظروف الى ذلك ووسيلتهم هي سفنهم التي يحملون فيها اهم ممتلكاتهـم · فالسفينة لديهم كوسيلة للحيـاة في عالم البحار تحتل نفس الاهمية التي تحتلها الابل لدى البدو · فاذا كانت الطبيعة قـد سخت على عرب البادية بهذا الحيوان العجيب الذى اطلق عليه جوازا بسفينة الصحراء ، فان المعارف البحرية المتميزة لعرب السواحل قـد هدتهم لصنع السفن الشراعية وتطويرها بما يتناسب وحاجاتهم في النشاط البحـرى فطبعوها بطابعهـم وحققت لهـم بذلك امتداداً جغرافيا وبشـريا وحضاريا يفوق كثيرا رقعتهم الجغرافية · فكانت استجابتهم لتحدى الطبيعة البحرية استجابة مناسبة جدا ، تنم عن عبقرية فـذة بالمقاييس الحضارية لعصرهم فاكسبتهم بذلك تفوقا متميزا في النشاط البحرى ولقرون طويلة جدا (٥) ·

ان البيئة البحرية لبلاد البحرين قد ولدت طبقة من السكان لها ثقلها في الحياة الاقتصادية والسياسية ، لا يجوز للباحث في تاريخ المنطقة اغفالها كما

انها افرزت زعامـــات تعتمد في مراكزها على قوتها الاقتصادية الناتجـة عن سيطرتهم على قطاعات واسعة وهامة من النشاط الاقتصادى وهؤلاء هم تجار اللؤلؤ واصحاب السفن ويسندهم عدد كبير من الاتباع الذين يدينون لهم بالولاء نتيجة لتبعيتهم الاقتصادية لهذه الزعامات وهؤلاء صيادو الاسماك واللؤلؤ والعاملون في السفن التجارية ٠

ان هذه القوة المنتجة اقتصاديا تشكل في الواقع قوة عسكرية احتياطية، كثيرا مازجها هؤلاء الزعماء في صراعاتهم السياسية ، فكثير من الاحداث التاريخية التي مرت بها منطقـة الخليج عبر عصورها المختلفة لا يمكن فهمها فهما سليما من دون الانتباه الى الدور الذي لعبته هذه القوى في صنع الاحداث في المنطقـــة ٠

اما المظهر الثالث والاخير للبيئة الطبيعية لبلاد البحرين والتي لهـا التأثير الاعمـق فهي البيئة الصحراوية السائدة في الاقليم والتي فرضت نمطا من الحياة الاجتماعية ، هي الحياة القبلية والتي طبعت التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادى للمنطقة بطابعهـا حتى العصر الحديث ، مما حمل احد المتخصصين بمنطقة الخليج العربي الى القـول بان من الخطأ ان نعزو الخلافات حول الحدود في شرق الجزيرة العربية الى سبب رئيس هو اكتشاف النفط بل يجب الانتباه الى عامل اخر لا يقل عنه خطـــورة يسبق اكتشاف النفط الا وهو الطبيعة القبلية للمجتمع العربي في المنطقة وما يتمسك به من مفاهيم حول حدود السيادة الاقليمية والمستمد من تراثه القبلي (٦) ٠

ان الظاهرة الرئيسية للبيئة الصحراوية هي فقرها وعجزها عـن سـد احتياجات سكانها خصوصا عندما تتزايد اعدادهم ويحدث نقص خطير في مراعي القبائل لذا فهي بيئة طاردة نحو المناطق الاكثر غنى من بلاد البحرين وهي البيئة البحرية والبيئة الزراعية الامر الـذى يعرض هاتين المنطقتين دائما لضغط سكان البداية وتوغلهم فيها ويزداد توغلهم كلما احسوا بضعف السلطة السياسية في هاتين المنطقتين ، ويميل قسم منهم الى الاستقــرار ، ولقد اوضحت دراسة بارث عن البداوة ان الذين يميلون الى الاستقرار من بين البدو هم الاكثر غنى وكذلك الاكثر فقرا (٧) ٠

على ان الافراد الذين لهم ثقلهم بين القبائل ــ بالرغم من استقرارهم وامتلاكهم الاراضي ــ فانهم يبقون على صلة بقبيلتهم ويحافظون على نفوذهم فيها ، وهم بذلك يشكلـون همزة وصـل مابين البدو والسكان المستقرين ومابين القبيلة ومناطـق الاستقرار ، وربما يكون استقــرار بعض زعماء القبائل بتشجيع من السلطة القائمة في المدن ٠ واستقرار هؤلاء هو في الواقع اضعاف لهذه السلطة لانهم سوف يكونون جاهزين للعمل كوسطاء مـع قبائلهم٠

والنقطة الاخيرة التي يجب ذكرها هنا في العلاقة مابين سكان البادية والسكان المستقرين هو ان عرب البادية في بلاد البحرين يسيطرون دائما على طرق القوافل التجارية البرية والتي تبدأ عادة او تنتهي بالموانىء الواقعة على ساحل الخليج العربي · لذا فهم كثيرا ما يحاولون السيطرة على هـذه الموانىء التجارية ليمدوا منها سيطرتهم ايضا على الطرق البحرية فتقوم حالة من التعايش مابين طرق القوافل البرية والطرق البحرية ومابين البدو الذين يسيطرون على الطرق البرية وسكان السواحل والجزر في الخليج العربي الذين يديرون الطرق البحريـــة ·

من هذا ندرك ان القوى القبلية كانت تلعب ادوارا خطيرة كلما سمحت لها الظروف العامة بذلك ·

والواقع فان التفاعل ما بين البدواة والاستقرار وما بين القبيلة والدولة يمثل احد المظاهـر الاساسية لتاريخ شـرق الجزيرة العربية خصوصا وتاريخ الوطن العربي عموما · ان هذه السمات البارزة للبيئة في بلاد البحرين وما افرزته من نتائج قد اوردناها توطئة تساعدنا على تفهم اكثر للوقائع التي سوف نتعرض اليها في الصفحات اللاحقة ·

— ١ —

استقـرار بني عامـر في البحريـن

يلاحظ الدارس لتاريخ الخلافة العباسية في فترة ضعفها ان القوى القبلية قد اخذت تلعب ادوارا سياسية رئيسه ضمن مناطق مختلفة من العراق والجزيرتين العربية والفراتية بحيث لا يمكن للباحث تجاهلها ·

وقد نجحت بعض هذه القوى القبلية في تكوين كيانات سياسية خاصة بها كالحمدانين وبني عقيل وبني اسـد والمنتفق وخفاجة ، الا انه بظهور الوصايه السلجوقيه على الخلافة العباسية اخذت هذه الكيانات تختفي مـــن الخارطة السياسية الواحدة بعد الاخرى ·

ومع نهاية القرن السادس للهجرة / الثاني عشر للميلاد ومطلـع القـرن السابع / الثالث عشر كانت خارطة القوى القبلية المؤثرة في الحياة السياسية قد تغيرت عما كانت عليه في السابق ·

ويورد لنا القلقشندي (ت ١٤١٨/٨٢٨) خارطة للتوزيع القبلي في حدود النصف الاول من القرن السابع للهجرى / الثالث عشر للميلاد معتمدا فيما يورده من معلومات عن هذه القبائل في هذه الفترة ومابعدها على مؤلفين

متأخرين لمعلوماتهم اهميـة خاصة ٠

ومن ابرز هؤلاء ابن سعيد المغربي (ت ١٢٨٦/٦٨٥) والحمداني المعروف بابن زماخ المتوفي في مطلـع ق٨/١٤ ، وابن فضـل الله العمري (ت ١٣٤٨/٧٤٩) واخيرا ابن خلدون (ت ١٤٠٥/٨٠٨) ٠ والذي يهمنا من هذه المعلومات هو مايتعلق منها ببلاد البحريـن ٠

ان روايات هؤلاء جميعا تكاد ان تتفق تمام الاتفاق على ان القبيلة التي كانت تمتلك زمـام السلطة السياسية خلال القرنين السابع والثامن / الثالث عشر والرابع عشر في كل من البحرين واليمامه هي قبيلة بني عامر بن عقيل ٠ فمن هم بنو عامر وماهو دورهم في الاحداث قبل هـذا التاريخ وبعده ؟ للاجابة على هذا السؤال سوف نعود القهقرى بضعة قرون الى الوراء لنستعرض جوانب من تاريخ بلاد البحرين بما له من علاقة ببني عامـر ٠

تجمع المصادر على ان بني عامر ينتسبون الى بني عقيل بن كعب بن ربيعه بن عامر بن صعصعة من العدنانيين ، وان بطون بني عقيل المشهورة هم بنو عباده وبنو المنتفق وبنو خفاجة وبنو عامر ٠

وكان العراق وبلاد البحرين احد المواطن الرئيسة التي استقرت بهـا هذه البطون ، بعد ان غادرت موطنها في نجد ، وقد لعبت هذه البطون ادوارا مهمة في هذين الاقليمين ، وكثيرا ما اطلق اسم بني عقيل على بطن او اكثر من هذه البطون ، الامر الذي يثير بعض الاشكال للباحثين في التميز بيـن الفرع والاصل وهذا مايحدث كثيرا عندما يشار لبني عامر في البحرين ببني عقيل ٠ ويبدو ان ذلك راجع الى تجاورها في المسكن واختلاطها بعضهـا ببعض (٨) ٠

ان من الاجدى عند دراسة القبائل ان نميز مابين الاتحادات القبلية وبين زعامة هذا الاتحاد اذ ان بعض العشائر والبطون والافخاذ كثيرا ماترتبط بهذا الاتحاد او تنفصل عنه تحت ضغط الظروف السياسية والطبيعيـة والاجتماعيـة ٠

وفي الحقيقه فان اسم بطون بني عقيل قد ارتبط ببلاد البحرين منذ ان انتقلوا اليها من مواطنهم في اواخر القرن الثالث / التاسـع على رأى رنـز (٩) ، حيث عاشوا جنبا الى جنب مع قبائل كثيرة مثـل بكر بن وائل وتميم وعبدالقيس وبني سـليم ، وكان ابرز هـذه القبائـل القبيلتين الاخيرتين (١٠) ٠

ان ترتيب الاحداث يشير الى ان بطون بني عقيل عندما غادرت مواطنها الاصلية في نجد استقرت في البحرين حيث كانت هذه البلاد تحكم من قبل القرامطة ، او انهم انتقلوا اليها مع ظهور حركة القرامطة بعد ان تحالفوا معهم . فأبن الاثير يذكر في حوادث سنة ٢٨٦/٨٩٩ ان ابا سعيد الجنابي مؤسس دولة قرامطة البحرين قد لقي مؤازرة وتأييد بعض القبائل ذكر منها عقيل عامر ، والى هذه المؤازرة يعود نجاحه . اما ابن خلدون فيروي انه عندما قامت فتنة القرامطة بالبحرين صار كل من بني سليم والكثير من بني عقيل حلفاء وجنود لابي طاهر سليمان ابن ابي سعيد الجنابي الذي خلف اباه في حكم قرامطة البحرين في حدود عام ٣٠٣/٩١٥ . كما انه قال في موضع اخر بأن القرامطة كانوا يستنجدون بعرب البحرين على اعدائهم ويستعينون بهم في حروبهم (١١) .

والواقع ان هجمات قرامطة البحرين المتكرره على عمان وبلاد الشام وارياف العراق خلال القسم الاكبر من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي (١٢)، يمكن اعتبارها من بعض الوجوه هجرات قبلية رافقها تسلل واستقرار بعض بطون بني عقيل في هذه المناطق .

فالروايات المتواتره تشير الى ظهور نشاط بطون بني عقيل في حدود هذا التاريخ . فبنو خفاجه كانوا قد استقروا في خلال هذا القرن على اطراف الفرات الاوسط حيث تصاعد نشاطهم الى درجة كبيرة في القرون اللاحقة . (١٣) يضاف الى ذلك ظهور نشاط المنتفق بجوار البصرة بقيادة زعيمهم الاصفر (١٤) اعتبارا من عام ٣٧٨ ، اما بنو عباده وبنو مالك من بطون عقيل ، فان ابن خلدون يعزو تكوين دولة بني عقيل في الموصل والجزيرة في حدود عام ٣٨٠/٩٩٠ الى هذين الفرعين بعد ان استطاعوا انتزاع هذه المناطق من اسرة بني حمدان من قبيلة بني تغلب الا انه بعد القضاء على دولتهم في الموصل عام ٤٨٩/١٠٩٦ عادت هذه البطون،او على الاقل الغالبية العظمى منهم الى جنوب العراق حيث استقروا ما بين البصرة وواسط والكوفه ، فعاشت عباده متجاورة في المسكن مع بني المنتفق (١٥) .

وبمتابعة النشاط القبلي الذي كان يرافق نشاط قرامطة البحرين نجد ان بني هلال بن عامر بن صعصعه وبني سليم قد استقر قسم منهما في بلاد الشام ضمن دائرة النفوذ القرمطي هناك ، الا انه بعد ان استطاع المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١-٣٦٥/٩٥٣-٧٥) انتزاع بلاد الشام من القرامطة ، قام بنقل اتباعهم من بني هلال وسليم وانزلهم ببلاد الصعيد (١٦) .

اما مصير القسم الاكبر من بني سليم في بلاد البحرين ، فانه بعد ضعف قرامطة البحرين وارتخاء قبضتهم على البلاد خلال القرن الخامس / الحادي عشر ، اتحدت عبدالقيس مع بني عامر احدى بطون عقيل ضد بني سـليم واخرجوهم من البحرين ومعهم قسم من بني المنتفق (الخلط) فغادروها الى افريقيا (تونس) (١٧) ٠

ان ابن خلدون حينما يتابع نشاط بطون عقيل المختلفة ، يمتـاز عن القلقشندى بدقـة نسبيه في التمييز بين هذه البطون فهو يذكر انـه بعـد نزوح سليم والمنتفق (الخلط) الى افريقيا ، بقيت في جهـات بلاد البحرين سائر بني عقيل ، الى ان استطاع احد بطونهم وهم بنـو عامـر اخوة المنتفق ان يتغلبـوا على بني ابي الحسين (١٨) (العيونيون) وينتزعوا الملك منهـم في بلاد البحرين وعمان ٠

بقي ان نضيف ملاحظه اخيـره الى ما ذكره ابن خلـدون في ان بني عامـر يعيشون الى الجنوب من البصرة الى جوار اخوتهم المنتفق (١٩) ، فانه قصد بذلك بان مساكنهم تمتد من جنـوب البصرة حتى البحرين ، وقـد استندنا في ذلك الى ما اورده سابقا من نصوص والى ما سوف نورده حول مواطن بني عامـر ٠ كما انه من الممكن ان نشير ايضا الى عـدم وجـود تعارض بين ما ذكره ابن خلدون هنا من ان مواطن المنتفـق في البصرة هي الى جوار بني عامـر وبين ما ذكره في موضع اخر من ان بني المنتفق قـد انتقلـوا الى افريقيا (تونس) وعرفـوا هناك بالخلط ٠ اذ ان ابن خلدون قـد قصد بذلك الى ان قسما من المنتفق قـد انتقل الى افريقيا اما القسم الاكبر فقد استقر بجهات البصرة وقـد بقوا في هذه الامـاكن دون تغييـر كبير حتى العصور الحديثه ٠

والواقع ان بطون بني عقيل وعلى وجـهالتخصيص المنتفق وعامـر واللذان امتدت ديارهما من البصرة حتى اليمامـه وعمان كانوا متداخليـن فيما بينهم وكان طبيعيا ان تقوم بينهـم صلات التعاون والتناحر على حـد سـواء ٠

ان هذا التقارب في الاصل والموطنهو الذى حمـل البعض على ان يطلق اسم احـد البطون على الاخرى او ان يستعمل اسما جامعـا لكافـة هذه الفروع في هذه الامتداد الجغرافي والقبلي المتصل وهذا ما عبر عنـه ابن فضل الله العمـري في القـرن الثامن الرابع عشر حينمـا قال بأن عرب عقيل وبطونها من عامر والمنتفق وغيرهمايعبر عنهما بعرب البحرين (٢٠) ٠

ـ ٢ ـ
علاقة بني عامــر بقرامطة البحرين ونشاطهم في هذه الفترة

ان استعراضنا لنشاط بني عامـــر في هذه الفتـــرة سوف يكون من اهدافه الاولى تأكيد وجود الصلة الوثيقه التي كانت تربطهم ببلاد البحرين، ثـم اضعاف ان لم يكن نفي الفكرة القائلة بأن ظهورهم فيها ونشاطهـم كان مرتبطا اشد الارتباط بسقوط دولة بني عقيل في الموصل والجزيرة عـــام ٤٨٩/١٠٩٦ ٠ (٢١) اذ ان الاحداث التي سوف نوردها ولعب فيها بنو عامر دوراً رئيساً قـد وقعت قبـــل تاريخ سقوط دولـة بني عقيل ٠ على اننـا لانستطيع ان نقطع بعدم وجود صلة بين تصاعد قوتهم وعـــودة بطون بني عقيل من جهات الموصل الى جهات البصرة ٠

لقد سبقت الاشارة الى ما رواه كل من ابن الاثير وابن خلـدون عـن قيام تحالف بين قرامطـة البحرين وبعض القبـائل ، والتي كان من بينهـا بنو عقيل ، وغني عن القول بان هذا التحالف لايقتضي بالضرورة وجـــود اتفاق تام في الاهداف والمبادىء بيـــن الطرفين اذ ليس هناك ما يشير الى ان هذه القبائل قـد تقبلت معتقدات القرامطـة ، كما انه ليس هناك مـن دليل على ان الزعامـة القرمطيه كانت تقيم تحالفاتها على اسس عقائديـة دائما ، بل انه من المؤكد ان مثل هـذه التحالفات قـد قامت نظرا لوجـــود نقاط التقاء سياسية واقتصادية وعسكرية بين الطرفين ٠ ان اقليمي البحرين واليمامه هما من الاقاليم التي تكررت فيها الحركات الخارجه على السلطة المركزية في بغداد قبل ظهور القرامطه ، وان البعض من هذه الحركات كان ذا اهداف ومبادىء سياسة ودينيه معينه ، وقد ساهمت بعض قبائل هـــذه الاقاليم في هذه الحركات خصوصا قبائل عبدالقيس ٠ وبالرغم من فشل هذه الحركات الا انها بالتاكيد قد تركت اثارا في نفوس وعقول السكان وان اقل مايمكن ان يقال في ظاهرة التمردات المتعددة في هذه المناطق هو وجـــود الكراهية للسلطة المركزية وزادها كرها الحملات العسكرية التي جردت ضدها ومايرافقها عادة من تنكيل وبطش ، الامر الذي جعل السكان على استعداد لتأييد كل خروج على هذه السلطة كلما اتيحت لهـــم الفرصة لذلك ٠ وفي تقديرنا ان العامل الرئيسي الذى يدفع القبائل للتعـاون مـع الخارجين على السلطة المركزية هـو حالة الفقر المدقـع التي يعيشها افرادهـا نظرا لفقـر بيئتهم وعجزها عن سد متطلباتهم وما ينشأ عن هذه البيئة من قيـم بدويـــة ومفاهيم سياسية يتضاءل امامها اي وازع حتى الوازع الديني لذا فهم ينظرون الى سكان المناطق الضريه نظرة فيها الكثير من الازدراء والحقد ، لما يتمتع به

هؤلاء من رفاه نسبي في العيش مقارنة بحياتهم البائسة • كما انهم ينظرون الى المناطق الحضرية على انها المجـال الحيوي لنشاطهم ولسد احتياجاتهـم المادية ، بصورة سلمية او حربيه ، فعيشهم في اطراف سيوفهم كلما اضطروا الى ذلك •

ومن هنا كان التقاء هذه القبائل التي تغلب عليها البداوة في عيشهـا او في قيمهـا مـع الزعامة القرمطيه التي قـد تتيح لهم فرصة للكسب • اما القرامطة فقد كانوا يرون بالتاكيد في هذه القبائل القوة العسكرية الاساسيه التي يمكن بواسطتها تحقيق اهدافهم او بعضها دون ان تكلفهم اعبـاء ماليـه باهضه فهاجموا بواسطتها مناطق واسعة من الهـلال الخصيب ومصر والجزيرة العربية وتحقق للطرفين فوائد ماديه وسياسيه واضحة • على انـــه يجب ان نستدرك فنقول انه لايمكن ان نتوقـع ان تسير العلاقـة بين هذين الطرفين

بشكل متوافق ولمـدة طويلة • اذ لابد ان تثور المنازعات فيما بينهم لسبب او لأخر وقد ألمح ابن خلدون الى ذلك حين قال: كان القرامطه يستعينون بعرب البحرين في حروبهم وربما يحاربونهم ويقاطعونهم في بعض الاوقات (٢٢)• وكلما ظهرت بوادر ، ضعف السلطة تزايدت هذه التمردات ، واذ كنا قد اشرنا فيماسبق الى اضطرار بعض القبائل المتحالفة مع القرامطه الى مغادرة البحرين فانه من الصعب ربط هذه المهاجره بعلاقات سلبيه مع السلطه القرمطية لعدم توفر الدليـل الواضح الذي يؤثر ذلك الا اننا نملك بعض الامثـلة الواضحة على خروج بعض حلفاء القرامطه عليهم خصوصا في فترة ضعفهم وارتخـاء قبضتهم على البلاد حيث اصبحوا تحت رحمة حلفاءهم •

ان ما يعنينا هنا من هؤلاء الحلفاء هم بنو عامر ومن يمت اليهم بصلة نسب قريب ونتابع هذا النشاط حتى نجاحهم في الاستيلاء على السلطة في بـلاد البحريـن •

يقول ابن الاثير انه في سنة ٣٧٨/٩٨٨ـ٨٩ قام زعيم المنتفق المعروف بالاصفر (ويرد تارة باسم الاصيفر) ـ وهو لقب له فيما يبدو وليس باسمه الحقيقي ـبحشد جموع كثيرة وحارب القرامطة وانتصر عليهم واوقع بهـم خسائر كبيرة ثم حاصرهم بالاحساء حيث تحصنوا ، فلما امتنعت عليه زحف الى القطيف فأكتسـحها واخـذ ما فيها من عبيد واموال تعود للقرامطة ثـم انسحب الى البصرة (٢٣) •

ان ابن الاثير لم يعطينا اية تفاصيل عن الموضع الذي تحرك منـه

الاصفر ، فلا نعلم اكانت البصرة هي المكان الذي تحرك منها واليها عاد ام ان ذهابه الى حدود البصرة كان خشية من ان ينتقم منه ؟ ومها يكن من امر فان زعيم المنتفق كان يقوم بنشاطه في مناطق يعتبرها القرامطه واقعه تحت نفوذهم . والدليل على ذلك انه عندما قام معز الدوله ومعه الخليفة المطيع بالله بالزحف على البصرة عام ٩٤٧/٣٣٦ـ٤٨ لانتزاعها من ابي القاسم البريدي وسلكوا اليها طريق الصحراء احتج قرامطة البحرين على ذلك معتبرين هذا العمل خرقا لحرمة اراضيهم التي لايمكن سلوكها بدون اذنهم وقد دفعهم هذا الانتهاك لاراضيهم للانتقام بالتعاون مع ابن الوجيه صاحب

عمان في الهجوم على البصرة عام ٩٥٢/٣٤١ـ٥٣ (٢٤) . فزعيم المنتفق الاصفر كان نشاطه مستمرا في هذه الباديه ما بين البصرة والبحرين حتى وفاته ، يعترض طريق الحاج ويرغم البويهيين على ان يدفعوا له مبالغ معينه لقاء عدم تعرضه للحاج (٢٥) ، ومن الجدير بالذكر ان مثل هذه الاعمال كانت في السابق موكولة للقرامطة . وان بروز نفوذ المنتفق في هذه الفترة وفي بادية البصرة دليل واضح على انكماش نفوذ القرامطة .

اما الرحاله الشهير ناصر خسرو فانه يذكر لنا انه خلال وجوده في الاحساء عام ١٠٥١/٤٤٣ شاهد اميرا عربيا يحاصرها وانه قد مضى على حصاره لها سنة كاملة . وقد قال له الامير العربي أنه يعتزم الاستيلاء على الاحساء لان اهلها لا دين لهم (٢٦) . على ان الرحالة خسرو لم يذكر لنا اسم القبيلة المتمردة او زعيم هذه القبيلة ، الا انها اشارة مهمة تدل ايضاً على تداعي سلطة القرامطة وخروج بعض القبائل عليهم . واعقب هذه الاحداث بقليل قيام احد الاثرياء العرب في جزيرة البحرين الملقب بأبي البهلول واسمه العوام بن محمد بن يوسف الزجاج بالاستيلاء على جزيرة اوال (البحرين) عام ١٠٦٨/٤٥٠ ، ولقد سارع القرامطة بالاستعانة ببني عامر وبعض بطون عبد القيس ، الا ان العوام انتصر عليهم في معركة بحرية واعلن استقلاله في الجزيرة وولاءه للخليفة العباسي (٢٧) . ثم ثار على القرامطة بني محارب أحد اقوى بطون عبد القيس بزعامة ابن عياش الذى انتزع القطيف منهم في العقد السادس من القرن الخامس / الحادى عشر ثم مد ابن عياش سيطرته على جزيرة اوال منتزعاً اياها من العوام (٢٨) ومن المحتمل جداً ان بني عامر كانوا هم القوة الرئيسة ان لم تكن الوحيدة من بين حلفاء القرامطة التي بقيت الى جانبهم حتى النهاية . ان دى غويه الذى كتب عن نهاية قرامطة البحرين معتمداً على الشروح والتعليقات الغنية لمخطوطة نادرة لديوان ابن المقرب تفوق

كثيرا مخطوطة بومبي ، ذكر بأن بني عامر كانوا قد فرضوا على القرامطة ان يدفعوا لهم جزءاً من حاصلات بلاد البحرين مقابل الحماية او الخفارة(٢٩) والخفارة او الحماية نظام كان معروفاً عند العرب قبل الاسلام بقرون عديدة وقد ظل موجوداً حتى وقت قريب ، وهم يعتبرونه حقاً من حقوقهم وكان عدم الاقرار لهم بهذا الحق يعرض القوافل التجارية ومناطق الاستقرار لهجماتهم ٠ ان اعتراف القرامطة لبني عامر بهذا الحق هو موقف يبدو سليماً من جانبهم لانه يخفف عنهم اعباءاً امنية ومالية كبيرة ، ويؤمن سير القوافل التجارية مقابل نفقات قليلة تدفعها السلطة والتجار ، الا انه من الوجه الثانية يعكس ضعف القرامطة وعجزهم عن القيام بهذا العبء امام قوة بني عامر ٠

ـ٣ـ
علاقة بني عامر بالعيونيين

لقد تلا الاحداث التي أشرنا اليها سابقا والتي هي مؤشر على ضعف وتداعي قوة القرامطة قيام عبدالله بن علي العيوني الذي ينتمي الى عبدالقيس بمحاولته الناجحة في انهاء حكم القرامطة من بلاد البحرين مستعيناً بسلطان السلاجقة أبي الفتح ملكشاه الذى ارسل له قوة كبيرة بقيادة أرتق بك ، فتم له انتزاع القطيف اولا من ابن عياش عام ١٠٧٤/٤٦٧ ثم تلا ذلك انتزاعه للاحساء من القرامطة في حدود عام ١٠٧٦/٤٦٩ ـ ١٠٧٧ واقام حكومة فيها تدين بالتبعية للخلافة العباسية في بغداد ٠

ومما هو جدير بالملاحظة ان بني عامر وقفوا الى جانب القرامطة في محنتهم هذه فقاتلوا جنود العباسيين كما قاتلوا جنود عبدالله بن علي العيوني (٣٠) ٠

ان قيام سلطة العيونيين الجديدة في بلاد البحرين لم تمنع بني عامر من محاولة فرض نفوذهم عليهم ومطالبتهم بان يدفعوا لهم مثلما كان يدفع لهم القرامطة ، لذا فقد شهروا سلاحهم ضد الامير عبدالله بن علي العيوني الذى كان قدقطع عنهم ما كان يدفعه لهم القرامطة من عوائد وجرايات الا ان الاخير تصدى لهم بقوة وعنف واوقع بهم هزيمة كبيرة وخسائر فادحة الامر الذى اضطر قسما منهم الى اللجوء الى قبيلة المنتفق بجوار البصرة (٣١) ٠

على ان نشاط بني عامر لم يتضاءل او يضعف بعد قيام حكم العيونيين واتجاه سلطة العيونيين نحو الانحدار التدريجي ، بل اننا نستطيع ان نقول الا فترة قصيرة ، ثم أخذ يتزايد بشكل ملفت للنظر وبصورة طردية يتناسب

انهم كانوا احد العوامل الرئيسة في اضعاف سلطة العيونيين وان مـا سوف نورده من وقائع تؤيد مـا ذهبنا اليـه ٠

فابن الأثير يذكر في حوادث عام ١٠٩٠/٤٨٣ ان زعيم بني عامر قـد قام على رأس عشرة الاف رجل بالزحف من الاحساء نحو البصرة ونهب المدينة نهبـا شنيعا واحرق بعض مواضعها الامـر الذى حمـل السلطة ببغداد على الاسراع في ارسال نجدات كبيرة لانقاذ المدينة المنكوبة (٣٢) ٠

ان هذا الحادث يعكس لنا أن بني عامـر قـد اصبحوا سادة البادية مـا بين البصرة وبلاد البحرين وهذا ما يؤيده ايضاً وصف الشريف الأدريسي (الف كتابه في حدود عام ١١٥٣/٥٤٨) لبادية البحرين حيث قال ٠٠٠ « ويتصل بالقطيف الى ناحية البصرة بر متصل لاعمارة فيـه ، اي ليس فيه حصن ولا مدينة وانما بـه اخصاص القوم من العرب يسمون عامر ربيعه » (٣٣) ٠

ومهما يكن من أمر فأن اشعار ابن المقرب العيوني (ت في حدود عـام ١٢٣٢/٦٣٠ ـ ٣٣) طافحه بالاشاره الى نشاط بني عامر والى الصدامات التي كانت تحـدث فيما بينهـم وبين الحكام العيونيين وكثيرا مـا حاصروا واحات القطيف والاحساء تحت قيادة زعيمهم غفيله (او عقيله) ٣٤ ٠ فقـد كان بنو عامر يصرون على ان يدفع لهم العيونيون من الاموال مثلما كـان القرامطة يدفعونه لهم ٠ الى ان نجحوا في النهاية في ارغـام العيونيين على الاقرار لهم بذلك ٠ لذا فقد وصف ابن المقرب في احدى قصائده بلاد البحرين بانها ارض عامر لانهم اهل البادية واصحاب خفارتها (٣٥) ٠

ان خضوع الحكام العيونيون لمطاليب بني عامر مؤشر واضح على عجزهم عن اخضاعهم بالقوة لذا فقد فضلوا اتباع سياسة الترضيه معهم ٠ وان ذلك يمكن ان يترجـم على ان بني عامر قـد اصبحوا يتحملون مسؤولية حمايـة ارياف البحرين وقوافل التجار والحجاج مقـابل مبالغ معينـة يحصلونها مـن المزارعين والتجار والسلطة الحاكمه ، الامـر الذى جعلهم على صلة مباشرة بهؤلاء جميعا مما سوف يمكنهم في المستقبل من تطويرهـا الى علاقات ذات طبيعة سياسية ايضاً ٠

كما انه من الجهة الاخرى اصبح زعماء بني عامـر في وضع مـادي مكنهم من كسب ود زعماء القبائل الصغيرة عن طريق العطايا والهدايا لكي يعترف هؤلاء بزعامة بني عامر وعدم التعرض من جانبهم الى طرق القوافل وكل ذلك كان يؤدي الى تزايد الدور الذى يلعبه بنو عامر في حيـاة بلاد البحريـن ٠

ولعل ما اورده كل من ابن الاثير وابن خلدون يعكس مدى تزايد قوة بني عامر في نهاية القرن السادس/الثاني عشر فقد ذكر بانه في سنة ١١٩٢/٥٨٨ قام بنو عامر بقيادة زعيمهم عميره (بن سنان بن عقيله بن شبانه) بمهاجمة البصره ونهبها ، وعندما تقدمت قبيلتا خفاجه والمنتفق لصدهم تمكنت عامر من هزيمتهم ، وقد تكرر هذا الهجوم عام ٥٩٣ /١١٩٦ — ٩٧ ان هذه الهجمات يمكن اعتبارها من بعض الوجوه مؤشرا على ضعف العيونيين الذين كان قد اوكل اليهم الخليفه الناصر لدين الله حماية ارياف البصره وطريق الحاج(٣٦)٠

لقد اشرنا فيما سبق عند الحديث عن سمات البيئه في بلاد البحرين الى ان البدو يأخذون بالتغلغل التدريجي في مناطق الاستقرار في ظل ظروف معينة، وكما اوضح كوبر فأن اي شيء يضعف الحكومة في مناطق الاستقرار ينتج عنه تغلغل البداوه (٣٧) ومن بين الذين يستقرون منهم بعض افراد الاسر التي تتزعم القبائل ، الا انهم يحافظون على صلتهم بقبائلهم ، وبحكم استقرارهم يكونون على صلة بالزعامات المؤثره في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في مناطق الاستقرار وبما يدور بينهم من منافسات وصراعات فينجرون الى الاشتراك بها بطريقة او اخرى مرتكزين في قوتهم على قبائلهم ٠

وتنطبق هذه الصوره بوضوح على بني عامر منذ النصف الثاني من القرن السادس خصوصا بعد ان اصبحوا يشكلون جزء اساسيا من سكان البحرين ، وكانوا القوة التي ارتكز عليها الحكام العيونيون في المحافظة على مناطق الاستقرار وطرق القوافل من هجمات البدو ٠

ولقد ازداد ارتباط بني عامر بالاسره العيونيه الحاكمه بالبحرين وذلك عن طريق المصاهره التي من الواضح ان دوافعها كانت سياسية (٣٨) ٠ فأزداد اتصالهم بالحكام العيونيين واشتركوا في الصراعات التي كانت تدور فيما بينهم فكانوا يمنحون تأييدهم الى هذا الحاكم او ذلك بحسب مصالحهم٠ ومما هو جدير بالملاحظة هنا ان بني عامر اخذت تظهر بين افخاذهم زعامات متعددة وينتسب كل فخذ الى زعيمه فهناك الشبانات نسبه الى زعيمهم شبانه والقديمات نسبهالى زعيمهم قديمه والغفيلاتاو العقيلات نسبة الى زعيمهم غفيلة او عقيلة وكل فخذ اواكثر كان يمنح ولاءه لزعيم من زعماء العيونيين المتقاسمين حكمالبلاد٠الاانه من الواضح ان قوة بنيعامر الرئيسةكانت تتركز في يداسره عميره بنسنان بنغفيلة ٠ فمصادرنا تشير الى ان زعيم بنيعامر راشد بن عميره اخذ يلعب دررا هاما في الحياة السياسية (٣٩)٠ فقد اشترك مع احد افراد الاسرة العيونية الطامح في السلطة المدعو عزيز بن الحسن في اغتيال الحاكم العيوني محمد بن ابي الحسين مقابل حصول راشد على جميع اموال الحاكم الموجودة في القطيف واوال بالاضافة الى حصوله على عدد من السفن والاف الدنانير التي سوف تدفع له سنويا ٠

وقد تـم تنفيذ المؤامـــره وتولى عزيز بن الحسن السلطة (٤٠) • الا ان الفضل ابن القتيل سارع الى الاستعانة بخاله الحسين بن المقداد بن سنان زعيم احد افخاذ بني عامر • كما طلب الفضل المساعده من الخليفة العباسي الناصر لدين الله (٥٧٥/١١٨٠ ـ ٦٢٢/١٢٢٥) فانجده بها • ولما نجح الفضل في استلام السلطة قرب اليه قسما كبيرا من بني عامر الذين اخذوا يمارسون نفوذا كبيرا عليه ، فمنحهم مااردوا بان اقطعهم البساتين في اوال والعيون الجاريه بما تسقيه من النخيل والاراضي وقسم عليهم جميع مناطق صيد الاسماك• كما ملكهم السفن التجارية وسفن الغوص ومافيها من الغاصه ، واخذوا يتوارثون ذلـــك (٤١) •

وقد اوضح الشاعر ابن المقرب في احدى قصائده بان بني عامر قـــد اصبحوا يملكون كـــل شيء ويلبسون الحـــرير ويركبون الخيــــول المطهمة ويأكلون احسن الطعام (٤٢) •

ولعل القصيده التاليه لابن المقرب العيوني تعبر اصدق تعبير عن مدى تغلغل بني عامر في الحياة الاقتصادية والسياسية في بلاد البحرين ، وتعكس مدى الخطر الشديد الذي اصبح يهدد المستقبل السياسي للاســره العيونيه الحاكمة (٤٣) •

اخذوا الحسا من الكثيب الى محا   ديث العيون الى نقا حلوان (٤٤) •
والخط من صفواء حازوها فما   ابقوا بها شبرا الى الظهران (٤٥) •
والبحر فاستولوا على مافيه من   صــــيد الى در الى مــرجـــــان
ومنازل العظماء منكم اصبحت   دورا لهـــم تكـــرى بـــلا اثمـــان
وامضى شيء للقلوب قطائــــع   بالموروزان لهـــم وكرزكـــان (٤٦) •

ومهما يكن من امر فأن هذا التغلغل الواسع لبني عامـــر في المرافــق الاقتصادية للبحرين سوف تنشأ عنه بالتأكيد سيطره سياسية • لان كل سيطره اقتصادية سوف يعقبها حتما سيطرة سياسية • على ان الذي يجدر بالذكر هنا هو ان ضعف وتداعي الدولة العيونية في بلاد البحرين ليس منشأه الضغوط الداخلية فحسب ، بل كانت هناك ضغوط خارجية تعرضوا لها صادره مـــن جزيرة قيس التي حلت محل سيراف كمركز تجارى رئيس في الخليج العربي ، وقد استطاع ملوكها من بني قيصر بعد عدة هجمات على سواحل وجـــــزر البحرين،في فرض شروط معاهده لم تكن لصالح العيونيين ،اذ اصبح بموجبها لملوك بني قيصر جزءاً كبيراً من واردات بساتين القطيف والاحساء ومـــن واردات مغاصات اللؤلؤ بالبحرين (٤٧) فحرموا بذلك الدولة العيونية من جزء

كبير من وارداتها ، اضافة الى تحكم قيس بتجارة الخليج العربي · ومما هو جدير بالاشارة هنا ان وصف ابن المجاور لجزيرة البحرين آوال في حدود هذه الفترة يدل على ازدهار حياتها الاقتصادية ،اذ يقول بأن اهلها شبه البحر في كرمهم وان جزيرة آوال بها ثلثمائة وستين قرية امامية المذهب ماخلا قريـة واحدة ، وليس هناك اجود من لؤلؤهـا (٤٨) ·

— ٤ —

قيـام امـارة العصفوريين العامريه

ان حالة التمزق والتداعي الذي اخذ يهدد امارة العيونيين بالسقوط منذ مطلع القـرن السابع / الثالث عشر ، قد اثار كما يبدو حالة قلق واسعه بين اعيان بلاد البحرين ، بعد ان ادركوا تمام الادراك عجز الحكـام العيونين بماهم عليه من الضعف عن حماية لأمن ، الامر الذي سوف يعرض اموالهـم ومصالحهم التجاريه للخطر من قبلبني عامر اذا لم يسارعوا لكسب رضاهم ، فاخذ اغنياء البحرين واعيانها يتسابقون الى ارضاءهم بالاموال والهـدايا ويقيمون معهم صلات شخصية وثيقة، بل ويتواطؤن معهم ضد العيونيين،وعلى رأس هؤلاء المتواطئين كان ابراهيم بن عبدالله بن ابي جروان ابرز اعيـان الاحساء واثرياؤها · وقد عاتبه على ذلك الشاعر ابن المقرب العيوني المعاصر للاحداث بقصيده جاء فيها :

اتراك ترضى ان يحـدث جاهـل   وا عالـم مـن نازح او دان
فيقول كان خـراب دار ربيعـه   بعد العمار بنوابي جروان(٤٩)
يأبى لك الطبع الكريم ونخـوة   عربية شـهدت بهـا الثقلان

وقد تطور الامر اخيرا الى اتفاق معظم اعيان الاحساء ووجوهها على تسليم السلطه في البلاد الى زعيم بني عامـر المحنك الشيخ عصفور بـن راشـد بن عميره ، فاتصلوا به واتفقوا معـه على خطة يقوم بموجبها بمحاصـرة الاحساء على يقوموا هم بدور هم بخذلان الحاكم العيوني الامير الفضل بن محمد بن مسعود واقناعه بعدم جدوى مقاتلة بني عامر بل عليه ان يسترضيهم وان يفتح لهم ابـواب اسوار الاحساء · وفي حالة نجاح هذه الخطة فقـد اشترط زعماء الاحساء على الشيخ عصفور بان يكتفي بالاستيلاء على املاك الاسره العيونيه جيمعها وان لايتعرض لغيرها من المتلكات ·
وقـد تم تنفيذ الخطـة بنجاح وقبض الامير عصفور على الامير العيـوني الفضل بن محمد وطرده من الاحساء بعد ان كان قد استولى على كافة امواله واموال اسرته وكف عن امـوال الاخرين (٥٠) وهكذا تم لبني عامر الاستيلاء

على السلطة في الاحساء وانهاء حكم الاسره العيونية فيها وبذلك استطاعوا ان يحققوا الخطوة الاولى والاهم لكي يتموا سيطرتهم على كافة بلاد البحرين على ان مصادرنا لاتسعفنا تاريخ محدد لاستيلاء الامير عصفور بن راشد بن عميره العامرى على السلطة في الاحساء ، لكن الشيخ محمد بن عبدالله العبد القادر الذى الف كتابا في تاريخ الاحساء قد ذكر بأن ذلك قد تم في العقد الرابع من القرن السابع (٥١) . ومن الواضح كما سوف نرى بان هذا التاريخ الذي حدده الشيخ العبدالقادر قد قصد به تاريخ استيلاء العصفوريين على كافة بلاد البحرين . والذي نميل اليه ان ذلك قد تم على فترات وان تاريخ استيلاء الشيخ عصفور على الاحساء هو في حدود العقد الثاني من القرن السابع/العقد الثاني من القرن الثالث عشر ولقد استندنا في تقرير ذلك الى قائمة الحكام العيونيين ومدة حكمهم في كل من الاحساء والقطيف وآوال والتي اوردها صاحب المخطوله التيموريه والذي كان معاصر للاحداث كما يفهم من اشاراته (٥٢) .

بعد ان استولى الامير عصفور بن راشد بن عميره بن سنان على واحات الاحساء ، اصبحت تواجه امارته الفتية مسؤوليات متعدده ، وأهمها هي اولا حمايتها من الاخطار المحتمله من بقايا الأمارة العيونية في كل من واحات القطيف وجزيرة آوال وثانيا الخطر المنبعث من مملكة جزيرة قيس التي تملك اسطولا بحريا وتجاريا قويا يتحكم بتجارة وسيادة الخليج العربي ، واذا كان من الصعب حسم العداوة مابين بني عامر والعيونيين الا عن طريق القوة ، الا انه من الممكن جدا اقامة علاقات حسنه مع بني قيصر ملوك جزيرة قيس خصوصا فيما اذا اعترف لهم بحقوقهم في جزء من واردات بساتين الأحساء التي كانت قد ضمنتها لهم المعاهدة المعقودة سابقا بينهم وبين حاكم الدولة العيونية الامير الفضل الذي كان قد اطاح بحكمه العصفوريون . واذا ماتحقق ذلك فان الامارة العصفورية الناشئه سوف تستطيع المحافظة على منفذها التجارى على الخليج وهو ميناء العقير الذي لا يمكن لها الاستغناء عنه في تجارتها مابين داخل الجزيرة العربية والعالم الخارجي . كما انه من الجهة الاخرى ربما سوف يتمكن الامير عصفور بن راشد من تحييد بني قيصر فيما لو حاول الاستيلاء على بقايا ممتلكات العيونيين .

ومن المرجح جدا ان مثل هذه العلاقة الحسنه مابين الطرفين قد تحققت كما يفهم من كلام ابن المجاور (ت ٦٩٠ / ١٢٩١) (٥٣) ، وكما يستدل من وصف المؤرخ العثماني احمد منجم باشي (ت ١١١٣/١٧٠٢) (٥٤) للامير عصفور انه مقدم امراء الملك جمشيد ملك جزيرة قيس (٥٥) . فهذا الوصف للامير عصفور بن راشد يحمل في طياته دلالات معينه هي وجود

علاقة حسنة بين الطرفين ، ومهما يكن من امر فأن منطق الامور يقودنا الى مثل هذا الاحتمال ، اذ ان ملوك بنو قيصر بالاضافة الى انهم سوف يضمنون حقوقهم في جزء من واردات الاحساء فان قوة الامير عصفور هي احد الضمانات المهمة لأستمرار حصولهم على جزء من واردات آوال والقطيف من العيونيين ، اذ يمكن استخدام هذه القوة للضغط من الداخل على العيونيين في سبيل هذا الهدف ٠

ومهما يكن من امر فاننا نجهل بشكل دقيق الكيفية التي تم بها انتقال القطيف الى حكم بني عامر ، وكل ما نعرفه ان صاحب المخطوطه التيموريه قد ذكر بان اخر حاكم عيوني هو الامير محمد بن محمد بن ابي ماجد كان قد غادر القطيف في حدود عام ٦٣٠/١٢٣١ ـ ٣٢ او قبلها بقليل وان حكمه قد اقتصر بعدها على جزيرة اوال (٥٦) ٠ اما وصاف الحضره (ت ٧٣٥/١٣٣٤ ـ ٣٥) فأنه كان اكثر وضوحا عن مصير القطيف بعد مغادرة الحاكم العيوني الامير محمد بن محمد لها فحين تعرضه للحديث عن استيلاء الاتابك ابو بكر السلغري على جزيرة آوال قال بان القطيف كان يحكمها انداك اقوى شيوخ العرب واوسعهم نفوذا هو ابو عاصم بن سرحان بن محمد بن عمرو [عميره] بن سنان (٥٧) ٠ ومما لاشك فيه بأن ابا عاصم هذا ما هو الا احد زعماء بني عامر وقريب الصلة بالأمير عصفور ٠ والسؤال الذي قد يثار هو كيف استولى العصفوريون على السلطة في القطيف وهل ان ابا عاصم بن سرحان كان يحكم القطيف نائبا عن قريبه الشيخ عصفور بن راشد ام انه كان مستقلا عنه تمام الاستقلال ؟ والذى نميل اليه هو ان الصله وثيقة بين الاثنين وان الامير عصفور كانت زعامته معترف بها بين كافة افخاذ بني عامر ، ونستدل على ذلك من الاحداث التي سوف تتلو مقتل الامير ابا عاصم حيث ان الشيخ عصفور اخذ يحكم القطيف مثلها مثل باقي بلاد البحرين من دون ان تثور في وجهه معارضة قبليه ٠ من الواضح اذا انه في حدود نهاية العقد الثالث / من القرن السابع/الثالث عشر تمكن بنو عامر من بسط سيطرتهم على معظم بلاد البحرين باستثناء جزيرة أوال كما ان سيطرتهم قد امتدت الى اليمامة وعمان ايضا ٠

قال ابن سعيد المغربي الذى كان قد زار المشرق العربي مرتين ، الاولى بين عامي ٦٤٨ ـ ٦٥٢/١٢٤٥ ـ ١٢٥٤ والثانيه عام ٦٦٦/١٢٦٧ وهو يصف بلاد البحرين بان « بين القطيف واليمامة مجالات بني عامر ولم

يبق معهم لاحد من العرب عز في بلاد اليمامه والبحرين ، ومنهم الان ملوك الصقعين » • ثم وصف بني عامر في موضع آخر فقال بأنهم عرب اليمامه والبحرين (٥٨) •

والواقع فان الروايات عن نفوذ بني عامر في القرن السابع/الثالث عشر والتي ترد عند ابن فضل الله العمرى وابن خلدون والقلقشندى كلها منقوله عن ابن سعيد المغربي وهي تتشابه الى حد كبير لفظا ومعنى • فهم ينقلون قوله سألت اهل البحرين في سنة ١٢٥٤/٦٥١ حين لقيتهم بالمدينه النبويه عن البحرين فقالوا « الملك فيها لبني عامر بن عقيل ، وعصفور وبنوه هم اصحاب الاحساء دار ملكهم » • (٥٩)

كما ترد رواية عن ابن سعيد المغربي تتعلق بنفوذ بني عصفور في اليمامه فهو يقول « سألت عرب البحرين لمن اليمامه اليوم ؟ فقالوا العرب من قيس عيلان وليس لبني حنيفه بها ذكر » (٦٠) •

ولعل النص التالي الذى يروى عن ابن سعيد هو اكثر وضوحا ، فعند حديثه عن بني عامر قال « وملكوا ارض اليمامة من بني كلاب ، وكان ملكهم فيها لعهد الخمسين والستمائه عصفور وبنوه » (٦١) • ومما هو جدير بالذكر ان ابن خلدون ينفرد بالقول بان بني عصفور قد غلبوا ايضا على عمان • (٦٢) •

ـ ٥ ـ

علاقة امارة العصفوريين بالسلغريين (اتابكة فارس)*

قبل التعرض لعلاقة العصفوريين باتابكة فارس من السلغريين ، يجدر بنا ان نثبت ملاحظتين هامتين تتعلقان بمجمل الاوضاع العامة في الخليج العربي في الربع الثاني من القرن السابع / الثالث عشر •

فالملاحظة الاولى هي ان بلاد فارس اخذت تتعرض في هذه الفترة لهجمات الخوارزميين الذين كانوا قد غادروا بلادهم على اثر الهزائم القاسية التي الحقها بهم المغول • ثم مالبث ان ظهر خطر المغول بعد اختفاء الخوارزميين عن المسرح بقليل فانتشرت هجماتهم في رقعة واسعة من ايران • وقد ولدت هذه الهجمات المتكررة تخريبات واسعة واضطرابا في الحياة السياسية والاقتصادية والامنية في ايران ووصل اثره الى مياه الخليج العربي وسواحله الشرقية • وفي مثل هذا الجو من الخوف والهلع يمكن لنا ان نتصور اندفاع سيل من المهاجرين نحو المناطق الاكثر أمنا من الخليج • ولما كانت الجزر والشواطىء العربية بعيدة نسبياً عن مراكز الخطر فهي اكثر أمنا ، لذا فأن قسما من

المهاجرين كان لابد له أن يندفع للاستقرار فيها واذا ماتوقعنا ان نسبة مهمة من المهاجرين كانوا من التجار والاثرياء الذين هم من اكثر الطبقات شعوراً بالخوف فاننا نستطيع انقول بان امارة العصفوريين قد تعـــزز مركزها الاقتصادى والسياسي بأستقبالها لمثل هؤلاء المهاجرين ·

والملاحظة الثانية هي ان الامارة العيونيـــة التي اصبحت ممتلكاتها قاصرة على القطيف وجزيرة آوال ثم بعد ذلك على جزيرة آوال فقط كانت تعاني ضعفاً شديداً في الوقت الذى كان تحت سلطانها اثمن ثروة في الخليج وهي مغاصاة اللؤلؤ ومثل ذلك يمكن ان يقال عن ملوك جزيرة قيس من بني قيصر ·

ان مجمل هذه الاوضاع في الخليج العربي كان لابد ان تحرك الزعماء الطموحين للاستفادة منها في الحصول على افضل غنيمة · وكان اسبق هؤلاء امير هرموز سيف الدين ابو النظـر ، اذ استطاع في جمادى الاخرة عـــام ٦٢٦ / مايس ١٢٢٩ الاستيلاء على جزيرة قيس بعد ان تمكن من قتل الملك سلطان قوام الدين آخر ملوك بني قيصر · وبذلك انهى حكم هذه الاسرة في جزيرة قيس (٦٣) · وبعد ان تم لامير هرموز ذلك ارسل نوابه الى جزيـــرة البحرين حيث طالبوا حاكمها العيوني الامير منصور بن علي بان يدفع لهم من واردات البحرين مثلما كان يدفعه لبني قيصر على اعتبار ان امير هرموز اصبح الوارث لكافة ممتلكات وحقوق ملوك قيس بعد ان ادخل قاعدتهـــم الرئيسة تحت سلطانه · وقد اضطر الامير العيوني على الاقرار لامير هرموز بهذه الحقـــوق (٦٤) ·

الا انه بعد وفاة اتابك فارس الامير سعد بن زنكي بن سنقر بن مودود السلغـــري عـــــام ٦٢٨/ ١٢٣٠/ ٣١ خلفـــه في الملـــك ابنـــه ابو بكـــر (٦٢٨/ ١٢٣٠ ـ ٦٥٨/ ١٢٦٠) فثار نزاع بينه وبين امير هرموز سيف الدين ابـو النظر ، ويعلل لنا زكريا القزويني سبب ذلك بأن سكان جزيرة قيس وبسبب ظلم امير هرموز لهم قد استغاثوا بأبي بكـــر السلغري في حين ان غفاري القزويني (ت ٩٧٥/ ١٥٦٧ـ٦٨) ومنجم باشيء يعللان اسباب هذا النزاع بخروج امير هرموز عن فروض الطاعة والخضوع التي كان يؤديها سابقا للسلغريين وذلك بعد وفاة اتابك سعد ، مما حمل الامير الأتابك ابو بكـر على ان يحشد ضده جيشا كبير مستعينا باصحاب السفن من اتباع بني قيصر والذين لابد ان يكون القسم الاكبر منهم من العرب ، وقد استطاع ابو بكر في محرم ٦٢٨/ تشرين الثاني ١٢٣٠ انتزاع جزيرة قيس من امير هرموز ، وبعد ذلك سعى ابو بكر لان يبسط نفوذه على كافة المناطق التي كان لبني قيصر نفوذا عليها فقام بارسال عماله الى جزيرة آوال ليطالبوا حاكمها العيوني بأن

يدفع له مثل ماكان يدفعه لبني قيصر سابقا ولامير هرموز لاحقا ، ولكن الاموال التي تجبا في هذه المرة كانت تتم باسم حقوق الخلافة العباسية في بغـداد وان ابا بكر نائب عنه وقد خضع الامير العيوني لهذه المطالب ٠ ومما يجدر ذكره هنا ان صاحب المخطوطة التيمورية كان من بين موظفي الاتابك الذين كانوا يتولون الاشراف على جبايـة حقوقه في جزيرة اوال (٦٥) ٠

على ان الاتابك ابا بكر السلغري لم يكتف بما حصل عليه من العيونيين بل تطلعت نفسه للسيطرة المباشرة على جزيرة اوال ، وربما كان قد حصل على تأييد وتشجيع في خطته هـذه من الامير عصفور بن راشد ، فارسـل ضدها حملتين بحريتين احداهما عام ٦٣٠/١٢٣٢ ـ ٣٣ والثانية عـام ٦٣٣/١٢٣٥ ـ ٣٦ الا ان الامير العيوني محمد بن محمد بن ابي ماجد الذي خلف منصور بن علي في الحكم قد استطاع ببسالة صد هاتين الحملتين(٦٦) ٠

اننا نميل الى الاعتقاد انه في حدود هذه الفترات بالذات قام بنو عامر بالاستيلاء على القطيف مستغلين الظروف الصعبة التي اخذت تمر بها الامارة العيونية وهي تواجـه اطماع السلغريين ٠

ومهما يكن من امر فان الاتابك ابا بكر قد اعـد حملة بحرية كبيرة عام ٦٣٦/١٢٣٨ ـ ٣٩ اشترك فيها عدد كبير من العرب استطاع من خلالهـا الاستيلاء على جزيرة آوال وقتل آخر حكام العيونيين الامير محمد بن ابي ماجـد ثم نهبت امواله واموال اسرته وتعرضوا لتنكيل شديد وبذلك يكون حكم العيونيين قد زال من جميع بلاد البحرين وان الامر الجدير بالأنتباه هنا ان وصاف الحضرة قد سكت تماماً عن الحملات الفاشلة التي قادها ابو بكـر ضد عرب البحرين كما أنه حدد ذا الحجـة من عام ٦٣٣/آب ١٢٣٥ كتاريخ الاستيلاء ابي بكر على جزيـرة اوال ، وعنه اخذ هذا التاريخ جميع الكتاب المعاصرين الذين قد اشاروا لي هذه الواقعة ٠ ان سبب متابعتهم لوصاف يعود الى عدم اطلاعهم على ما اورده صاحب المخطوطة التيمورية بخصوص هـذه الوقائع والتواريخ التي ذكرناها ٠ لقد رجعنا اقوال الآخير لانه معاصـر للاحداث بل في موقع الاحداث ، فهو احد الموظفين الذين عملوا في جزيرة آوال في خدمـة ابي بكر السلغري (٦٧) ٠ في حين ان وصاف قد الف كتابه سنة ٧٢٨/١٣٢٨ اى بعد حوالي القرن من وقوع هذه الاحداث ٠ ويعطينا وصاف بعض المعلومات المفيدة عن علاقة اتابكة فارس بالخـلافة العباسية حيث قال بانه بعد الاستيلاء على آوال والتي يسـمونها البحريـن ثبتت في ديوان الخليفة المعتصم بالله ، وفي كل سنة يكتب دخلها وخراجها ويرسـل به الى بغداد مع معتمد الخليفة في آوال ثم يضيف القول ايضا بان الاتابك ابو بكر السلغري بعد ان انتهى مباشرة مـن آوال اعتزم الاستيلاء علـى

القطيف ، الا ان مناعة تحصيناتها وقوة العرب الذين يحكمونها وكثرة عددهم جعلته يؤجل تنفيذ هذه الخطة لحين استكمال الاستعدادات الضرورية لمثل هذه الحملة (٦٨) . الا انه من المحتمل ان لهذا التردد والتاجيل علاقة بالأخطار التي اخذت تهدد بلاده في هذه الفترة من قبل المغول ، بعد ان اخذت هجماتهم تنتشر في مناطق عديدة من ايران ، على الرغم من انه ـ وكما يذكر الجويني كان قد سبق له ان ارسل اخاه تهمتن وهو يحمل هدايا ثمينـــه (٦٩) . الى اوكتاي (ت ٦٣٩/١٢٤١) الـذى تـــولى حكـــم المغــــول بعــد وفــاة جنكيزخان . ومن الواضح ان الاتابك كان بذلك يحـــاول استرضاء المغول لتحاشي خطرهم عن بلاده .

بعد مرور اكثر من خمسة سنوات على استيلاء الاتابك ابي بكر السلغري على جزيرة اوال ، سنحت له الفرصة ، كما يبدو ، لاحتلال بعض موانيء ساحل بلاد البحرين ، ففي ربيع عام ٦٤١/ربيع ١٢٤٤ جرد حملــة كبيرة استطاع بها الاستيلاء على قلعة جزيرة تاروت ، وقتل اكبر شيوخ بني عامر فيها وهو ابو عاصم بن سرحان بن محمد بن عمرو [عميرة] بن سنان ، والذى كان كمايبدو حاكما لمنطقة القطيف . اذ أنوصاف قد نعته بانه كان «من وجوه العرب ومشايخهم ومن ارباب المجد الشامخ والكرم الباذخ » (٧٠) . وكنتجة للانتصار الذى احرزه الاتابك في معركة تاروت اســـتطاع الاستيلاء على مدينة القطيف وواحاتها . كانت خطة الاتابك ترمي الى حكم هذه المناطق حكما مباشرا ، فوضع لهذا الغرض حاميات عسكرية فيها . الا ان وجـــود هـــذه القوات الاجنبية قد اثار غضب واستياء بني عصفور ، فأخذوا يشنون الهجمات المتكرره ويضايقونها الامر الذى حمل الاتابك ابوبكر على ان يقوم باستبدال هذه الحاميات كل سنة بغيرها ، ويزيد من دعمها وتقويتها . لكن ذلك كما يبدو لم يخفف الضغط على قواته ومن ازمتها واعبائها المالية . لذا فقد لجأ الى استرضاء العصفوريين بأن اخذ يدفع لشيوخهم اتاوه سنوية مقدارها اثنا عشر الف دينار مصرى ، على ان يكون وقت دفع هذا المبلغ عند جني محصول نخيل واحات القطيف وفي مقابل ذلك يكف العصفوريون عن التعرض للادارة السلغرية .

ولقد كان بنو عصفور وفي احايين كثيرة يلجأون الى التهديد باستعمال القوة كلما شعروا بوجوه تلكوء ، من قبل السلغريين في دفع هذه الاتاوة بل ان شيوخ بنو عصفور كما يبدو لم يكتفوا بمبلغ الاتاوة السنوية المقررة لهم . اذا يروي لنا وصاف حكاية تعكس بعض متاعب الادارة السلغرية وهو ينقل ما يرويه عن احد موظفي الاتابك الذين كانوا يعملون في جباية الرسوم في ميناء القطيــف .

ومفادها انه في بعض الاحيان يقوم بعض الشيوخ بأرسال احد اتباعه الى موظفي الاتابك في ميناء القطيف يطالبهم بأن يدفعوا له مبلغا من المال مع بعض السلع ، وعندما يظهر هؤلاء الموظفون تلكؤا في دفع مايطلب منهم ، يتم ارغامهم على الدفع عن طريق التهديد بأستعمال القوة ضدهم ويضيف وصاف الى ذلك القول بأن عرب البحرين كانوا ينظرون الى مايدفع لهم من اتاوة ، كحق من حقوقهم الثابته ، وانها بمثابة الفدية لقاء قبولهم ببقاء الاتابكة في بلادهم ٠

في ضوء التجربة الصعبة التي مرت بها الادارة السلغرية في بعض اجزاء بلاد البحرين والتي استمرت لمدة تزيد على العشر سنوات ، ونتيجة للاخطار الخارجية التي اخذت تهدد دولتهم ، وبغية التخلص من بعض هذه الاعباء والاستعداد لمواجهة اخطار محتملة تكون اشد من سابقتها ، قام الامير ابوبكر بن سعدالسلغري بتسليم السلطة في بلاد البحرين للعصفوريين مقابل قيامهم بدفعمبالغ معينة من الاموال سنويا الى خزينة الاتابكة في فارس٠ وقد اورد وصاف ذكر زعيمي بني عامر اللذين تم تسليم السلطة اليهما ٠ وهما عصفور بن راشد بن عميرة ومانع بن علي بن ماجد بن عميرة ، كما انه اورذ ذكر تسليم القطيف اليهما وسكت عن ذكر جزيرة آوال في حين اننا نجد ان كلا من القاضي احمد غفاري ومنجم باشيء قد ذكر اسم الامير عصفور بن بن راشد فقط ٠ اما المناطق التي كانت قد سلمت اليه ، فعندهما انها قد شملت كلا من القطيف والبحرين وعمان (صحار) والحسا (٧١) ٠ ومعنى ذلك سلطة امارة عصفور العامرية قد اخذت تشمل على كافة بلاد البحرين بما فيها اوال ، اضافة الى اجزاء من نجد (اليمامة) ومن عمان ٠ ومما يجدر ذكره هنا ان اسم عمان كان قد ذكرها ابن خلدون ايضا كجزء من ممتلكات امارة العصفوريين (٧٢) ٠ وان مؤلفات العصر الوسيط كثيرا ما تطلق عبارة عمان لتعني بها ميناء صحار ٠ لذا فمن المرجح انه قد استعمل هنا بهذا المعنى ٠ ان التاريخ الذى اعطاه وصاف لاستقلال بني عامر بالسلطة في كافة بلاد البحرين هو عام ١٢٥٦/٦٥٤ ، وهذا التاريخ يتعارض بعض التعارض مع ماروراه ابن سعيد المغربي ـ والذي سبق الاشارة اليه ـ من ان السلطة في بلاد البحرين كانت في عام ٦٥١ لعصفور وبنيه وان قاعدة ملكهم هي الحسا ٠ وللتوفيق بين ماروراه كل من وصاف وابن سعيد ، نرى ان هناك احتمالين : فالاحتمال الاول هو ان وصاف ربما لم يكن دقيقاً في هذا التاريخ الذي ذكره حول تسليم السلطة في بلاد البحرين لعصفور بن راشد، والاحتمال الثانيهو انروايةابن سعيديجب ان تفهمعلى انالمقصود بهاانسلطة الشيخ عصفور كانت تشمل على كافة بادية البحرين ، وان منطقة الاستقرار التي تحت حكمه المباشر هي واحات الحسا فقط ، حيث اتخذ منها قاعدة لنفوذه ، وان عدم اشارة ابن سعيد لكل من جزيرة اوال والقطيف في روايته،

قد يعني انهما كانتا خارج سلطة الشيخ عصفور . والواقع فأن رواية وصاف حول تسليم القطيف الى الشيخ عصفور تتضمن الاعتراف بأنه صاحب النفوذ الاول في معظم بلاد البحرين .

بقيت نقطة اخيرة يجدر مناقشتها وهي تتعلق بمدى اتساع نفوذ السلغريين في بلاد البحرين. اذ ان كلا من المستوفي القزويني(الف كتابه عام ٧٤٠/١٣٤٠) وحاجي خليفة (ت ١٠٦٧/١٦٥٧) كانا قد ذكرا بأن ابا بكر قد استولى على الاحساء اضافة الى القطيف واوال (٧٣) في حين ان وصاف الحضرة والذى كان عصره اقرب . لعهد الاتابك ابي بكر من عصرهما ، لم يذكر اسم الحسا ضمن المناطق التي استولى عليها . يضاف الى ذلك ان ابن سعيد المغربي قد ذكر في روايته التى مرت بنا سابقا بأنه في عام ٦٥١/١٢٥٣ ــ ٥٤ ، كانت الحسا قاعدة نفوذ الشيخ عصفور بن راشد في البحرين ، ومعنى ذلك انها تحت سلطته قبل التاريخ المذكور وقبل التاريخ الذي حدده وصاف لانسحاب السلغريين من بلاد البحرين .

للتوفيق بين هذه النصوص يمكن القول بأن الحسا لم تخضع لحكم الاتابك بشكل مباشر ، وانما بقيت تحت حكم الشيخ عصفور والذى ربما كان يعترف بتبعية اسميه للسلغريين .

ومهما يكن من امر فلابد لنا ان نشير الى الاسباب المحتملة التي كانت تكمن خلف انسحاب السلغريين من بلاد البحرين في هذه الفترة وتسليهما الى الامير عصفور بن راشد . اذ لا يمكننا ان نعزو ذلك الى المتاعب العسكرية والمالية التي واجهتهمفي حكمهافحسب، بل يمكن ان تعزى الى عواملﻻ تقلعهنا اهمية وهي : اولا الزحف المغولي المدمر في داخل الاراضي الايرانية بقيادة هولاكوخان . وثانياً ظهور زعيم طموح في الخليج العربي . وهو محمود بن احمد الكوسي (الكوشي) القلهاتي ، الذى استولى على السلطة في مملكة هرموز التي كانت تشمل على جزء من الساحل الايراني والعماني واخذ يتطلع الى توسيع دائرة نفوذه واستطاع ان يتحكم بمدخل الخليج العربي ولابد ان يكون هذا الزعيم قد اثار مخاوف الاتابك ابي بكر من احتمال قيام تعاون بينه وبين العصفوريين ، يكون الهدف منه مواجهة خصمهم المشترك ابي بكر السلغري واذا ما علمنا بأن للعصفوريين اسطولا تجاريا قويا يمكنان يستخدم ايضافي عمليات عسكرية ، مثلما كان قد سبق للاتابك نفسه ان استعان به في حملاته على جزيرتي قيس واوال ، لادركنا مدى المخاطر المحتملة التي قد تهدد السلغريين من قيام مثل هذا التعاون .

كل هذه الاحتمالات التي سبق الاشارة اليها ربما كانت تكمنخلف سياسة الاتابك ابي بكر الجديده التي اخذ يتبعها اتجاه بني عامر وزعيمهم

عصفور بن راشد وذلك بفتح صفحة جديدة معهم وتسليمهم السلطة في كافة بلاد البحرين بما فيها جزيرة اوال . وبذلك يكون قد اضعف احتمالات قيام جبهة مشتركة ضده ، كما انه سوف يتمكن من الاستفادة من جنوده الذين كانوا يرابطون في البحرين في مواجهة الخطــر المغولي المحتمــل .

قبل ان ننهي الحديث عن علاقة السلغريين ببلاد البحرين ، نرى انه من المفيد ان نشير الى النقود السلغرية التي اكتشفتها البعثه الدانماركيه في جزيرة البحرين. فقد وجدتقطعة نقدية واحدة مصنوعة من الرصاص ، تعود الى زمن الاتابك ابي بكر الا انه غير واضح عليها مكان الضرب او تاريخية . ويقرر لوويك الذى كتب بحثا عن النقود المتداولة في الخليج العربي ، بأن هذه العملة لابد انتكون قد ضربت في جزيرة البحرين . الا اننا نرى انه مادام الدليل القاطععلى مكانضربها لم يتوفر،فانالامر ليس مؤكدا بلمحتملا. خصوصا ونحن قد عرفنا فيها سبق ان البحرين قد استقلت وخرجت من دائرة النفوذ السلغري في عهد ابي بكر . والواقع فان اكتشاف النقود في مكان ما لايحتم على كل حال ان تكون هذه النقود قد ضربت في المكان الذي اكتشفت فيــه . واذا كانت هذه النقود قد ضربت في عهد السيطرة السلغرية على الجزيرة فمن المفروض ان اسم الخليفة العباسي يجب ان يذكر الى جانب الاتابك مادام الاخير يعترف بتبعيته الى الخلافة العباسية . ولما كان اســم الخليفة غير مذكور على هذه العملة . فمن المحتمل جدا انها كانت قد ضربت بعد سقوط بغداد اى بعد زوال السيطرة السلغرية عن الجزيرة . الامر الذي يحملنا على رفض فرضية لوويك من ان هذه العملة قد ضربت في جزيــرة البحريـــن .

لقد اكتشفت ايضا في جزيرة البحرين نقود مصنوعة من النحاس وهي تحمل اسم أبش خاتـــون بنت الاتابك سعد بن ابي بكـــر السلغـــري (١٢٦٤ ـ ١٢٨٦) ، وهي اخر حكام السلغريين ، وكان قد تزوج بهـــا منكوتيمور وهو الابن الحادى عشر . لهولاكوخان . كما وجدت ايضا عمله برونزية تعود الى السلغريين ، وهي لاتحمل تاريخا ولا اسم الحاكم الذى ضربت بأسمـــه .

ومهما يكن من امر فان اكتشاف هذه النقود في جزيرة البحرين ، يدل على وجود صلات كثيرة وربما سياسية ايضا مابين امارة العصفوريين وبلاد فارســـس (٧٤) .

ـ ٦ ـ

علاقــة امارة العصفوريين بمماليك مصــر ومغــول العراق وايران

بتدمير المغول لمركز الخلافة العباسية في بغداد عام ١٢٥٨/٦٥٦ ، ثم

سيطرتهم على معظم اجزاء ايران والاناضول تكون الحضارة العربية الاسلامية عموما ، والمشرق العربي خصوصا قد دخلا مرحلة جديدة وحرجة للغاية ولفترة طويلة نسبيا • فقد كان من نتائج هذا الاحتلال المغولي ان تغيرت الخارطة السياسية لمنطقة واسعة من العالم الاسلامي ، اذ اختفت كيانات سياسية تماما ، وبرزت كيانات سياسية جديدة ومن هذه الكيانات السياسية التي ظهرت وقدر لها تلعب دورامهما جدا في تاريخ المشرق العربي ، دولة المماليك في مصر • وقد برزت اهميتها السياسية والعسكرية بسرعة بعد نجاحها في سحق الهجوم المغولي على بلاد الشام في معركة عين جالوت عام ١٢٥٩/٦٥٨ ، ثم نجاحها في توحيد سوريا ومصر في دولة واحدة ، مثلما كانتا في معظم الفترات التاريخية السابقة • كذلك في استمرار تصديهـا للخطر المغولي ، وتولي دور القيادة في هذا السبيل •

ان تجاور هاتين الدولتين ـ دولة المغول الأيلخانيين في ايران والعراق ودولة المماليك في مصر والشام ـ وتصدى احداهما للاخرى ، أدى الى ان يقوم بينهما صراع عسكري وسياسي وثقافي واقتصادي لفترة طويلة ، مما دفع كل منهما لكسب الانصار والحلفاء وحشدهما لمواجهة الطرف الاخر •

ان احدى القوى المهمة التي توسل كل طرف لكسبها الى جانبه وزجها في الصراع الدائر بينهما ، هي القوى القبلية ، وذلك لما تتمتع به هذه القوى من أهمية عسكرية واقتصادية ، اذ كانت مساكنها تتأخم ارياف العراق والشام وتتحكم بطرق القوافل التجارية وقوافل الحجاج ومن هذا الموقع يكون بامكانها ان تقدم خدمة عسكرية واقتصادية لاحد الجانبين او كلاهمها • وقد يكون العكس اذ قد تلحق ضررا لاحداهما اوكلاهما • ومن ابرز هذه القوى القبلية ، الـ فضل الذين كانوا يبسطون زعامتهم على قبائل طي القوية اضافة الى قبائل كثيرة كانت منضوية تحت لوائهم ، فنفوذهم كان يمتد على بوادي الشام واجزاء واسعة من البوادي الغربية للعراق وكذلك على اجزاء من نجد (٧٥) •

ومن القوى القبلية المهمة ايضا قبيلتي عبادة وخفاجه اصحاب النفوذ الواسع في معظم غرب ووسط وجنوب العراق • ثم اخيرا قبيلة بني عامر والتي تبسط نفوذها في المنطقة الممتدة من جنوب البصرة حتى عمان الشمالي، ثم يمتد غربا الى اجزاء من نجد •

ان الدارس لموقف هذه القوى القبلية من القوتين الكبيرتين المتصارعتين، يلاحظ انها كانت متقلبة في ولائها نحوهما وذلك تبعا لظروفها وماتامل الحصول عليه من منافع من كل منهما•فهدف القبائل الذي يهمها قبل كل شيء

الحصول على اكبر قدر ممكن من المغانم • الا ان المماليك كانوا في معظم الاحيان هم الفائزون بولاء هذه القبائل • ومهما يكن من امـر فأننا معنيين بالدرجة الاولى بمتابعة علاقـة العصفوريين بهذه القوى ، وحديثنا سوف يقتصر عليهم بقدر مـاتسعفنا بـه المصادر ••

وقبل كل شيء يجب القول ان المصادر لاتسعفنا لكي نقرر بدقـة الموقف الذى اتخذه العصفوريون • من ظهـور النفوذ المغولي في كل من ايـران والعراق،بالرغم مناننا نميل الىالافتراض بأن العصفوريين لم يأسفوا كثيرا لزوال دولة بني العباس وسبب هذا الافتراض ان العباسيين قد كانوا سندا قويا للعيونيين الذين كانوا يعترفون بتبعيتهم للخلافة العباسية،ولابد انزوال الامارة العيونية على يد الشيخ عصفور قد ادى الى توتر علاقتهم بالعباسيين ، ولعل ذلك خلق خشية لدى بني عصفور من احتمال انتقام العباسيين ،هذا من جهة ومن الجهة الاخـرى فأن الخصم الاخـر للعصفوريين وهـم السلغريين الذين كانوا قد فرضوا سيطرتهم لفترة محدودة على اجزاء هامـة من بـلاد البحرين ـ هم ايضا اتباع للعباسيين ويعترفون بسيادتهم ، وكانوا قد فرضوا نفوذهم على الخليج بأسم الخلافة العباسية•فالغزو المغولي فضلا عن كونه قد ازال خطر العباسيين عن بني عصفور ، فانه ايضا قد ادى الى اضعاف نفوذ السلغريين في الخليج الى حد كبير• الامر الذي ربما ادى الىشعور بني عصفور بنوع من الارتياح ، رغمالاخطار المحتملة على بلادهم من قبل المغول • هذا وكنا قد افترضنا سابقا بأن امارة العصفوريين ربما تعـززت مركزها الاقتصادى والسياسي بتقاطرسيل المهاجرين من العراق وايران خصوصا من طبقة التجار واصحاب الاموال الهاربين فزعا من الخطر المغولي المحيق بهم ، وربما تعزز هذا المركز اكثر بظهور الصراع المغولي المملوكي •

على ان الامر الذى لا لبس فيه ، هو نشوء علاقة جيدة مابين بني عصفور وسلطنة المماليك في مصر • فالقلقشندى ينقل عن الحمداني المعاصر لما يرويه قوله ، بان بني عامر قد (وفدوا على السلطان بالديار المصرية في دولة الظاهر بيبرس (٦٥٨/١٢٥٩ ـ ٦٧٦/١٢٧٧) ، صحبة مقدمهم محمد بن احمد بن العقدي [العقيدي] بن سنان بن غفيلة [عقيلة] بن شبانه بن عامر ، وعوملوا بأتم الاكرام وافيض عليهم سابغ الانعام،ولحظوا بعين الاعتناء•(٧٦) علىانه لدينا مايدل على ان هذه العلاقة الحسنة قد اصابها بعض الفتور بعد وفـاة السلطان بيبرس فبتجد د الصراع على نطاق واسع وفي كافة الميادين بين المغول والمماليك قام ال فضل وآل مرا حلفاء المماليك بمهاجمة عرب البحرين عـام ٦٨٤/١٢٨٥ ـ مثلما هاجموا المغول ـ ونهبوا اموالهم وقتلوا عددا من رجالهم وكان من بينهم احد زعمائهم المدعو علي بن ماجد (٧٧) • ان هذا الهجوم على

بني عصفور ربما كانقد تم بتوجيه من المماليك لانهم كانوا قد حالفوا المغول. على ان تطور الاحداث كان قد ارغم الطرفين على اعادة توثيق علاقتهما . فالمغول كانوا قد سعوا لا للتحكم بطرق التجارة البرية عبر اوراسيا فحسب ،بل كانوا راغبين بالسيطرة ايضا على الطرق البحرية الرئيسة التي تربط البحر الاحمر والبحر العربي والخليج العربي بالصين والهند (٧٨) . فقد ارسل الايلخان ارغون ، البوذي المتعصب (١٢٨٤ـ٩١) في عام ٦٨٩/١٢٩٠ يطلب مجيء مائتين من الجنويين الى بغداد على ان يجرا في نهر دجلة هذا وقد صادف في الوقت ذاته وجود سبعمائة شخص من الفرنك (من اطني غربي اوربا في بغداد ، وصلوها عن طريق البحر ، معتزمين قضاء فصل الشتاء فيها . فماكان من الايلخان ارغون الا ان طلب منهم صنع سفينتين من نوع قادرغه (غراب)

Galley ، والتي هي من السفن التي تسير بالاشرعة والمجاديف ، وتستعمل للاغراض التجارية والحربية . ويمكن لكل سفينة من هذه السفن ان تحمل مابين ١٠٠ ـ ١٢٠٠ شخص ، اما طولها فيتراوح مابين ١٠٠ الى ٢٠٠ قدم. وكان هدف الايلخان من صنع هذه السفن ، هو لتسيرها في الخليج العربي والبحر العربي لعرقلة المواصلات التجارية مابين الهند ومصر . الا ان هذه الخطة لم يكتب لها النجاح نظرا للنزاع الذي ثار بين الجنويين من بحارة السفينتين ، فانقسموا الى فئتين متناحرتين ، الامر الذى ادى الى استحالة استمرار ابحار السفينتين وتنفيذ الخطة المرسومة (٧٩) لهما .

ومن الطبيعي ان يدرك سلاطين المماليك مدى الاخطار التي تتهدد تجارتهم من جانب المغول ، فيراقبوا هذا النشاط ويعملوا على التصدى له وافشاله . فالسلطان قلاوون كان قد ارسل عام ٦٨٢/١٢٨٣ وكذلك عام ٦٨٧/١٢٨٨ برسائل الى التجار في الهند والسند والصين وسيلان واليمن ، يدعوهم فيها للقدوم بتجارتهم الى مصر والشام ويعدهم بحسن المعاملة (٨٠) .

لقد كان الصراع ـ كما اسلفنا ـ مابين المغول والمماليك يتخذ اشكالا مختلفة ويقع على محاور متعددة ، ولم يترك اى طرف فرصة لضرب الطرف الاخر واضعافه الا اهتبلها . فابو الفدا (ت ٧٣٢) المؤرخ المعاصر للاحداث يذكر بانه عندما طرد الشريف حميضه بن ابي نمي من امارة مكة ولجأ الى السلطان المغولي او لجايتو خدابنده محمد بن ارغون (٧٠٣/١٣٠٤ ـ ٧١٦/١٣١٦) في بغداد واستنجد به لاعادته الى ملكه ومبديا استعداده في مقابل المساعده التي تقدم اليه لان يعلن تبعية مكة لسلطنة المغول في العراق وايران . فما كان من السلطان خدابنده محمد الا ان رحب بذلك

معتبرا اياها فرصة ثمينة لتوجيه ضربة موجعة لهيبة وسمعة سلاطين المماليك في العالم الاسلامي وان يحل المغول محلهم في هذا النفوذ • وعليه فقد جهز السلطان خدابنده عام ٧١٦/١٣١٦ الشريف حميضة بقوة تتألف من عشرة الاف مقاتل من المغول والعرب واسندت قيادتها الى الامير طالب الدلقندي الحسيني نائب المغول في البصرة • وقد سارت الحملة الى مكة سالكة الطريق عبر بلاد البحرين • ان سلوك هذه القوة عن هذا الطريق ليعكس اطمئنان المغول من عدم تعرضها لهجوم قبائل بني عامر • والواقع فان بلاد البحرين في هذه الفترة كانت قد اصبحت تدين بالتبعية لاسرة الطيبيين العربية والتي كانت تحكم اقليم فارس ومعظم جزر وسواحل الخليج العربي • وكان الطيبيون في نفس الوقت يحكمون في معظم هذه المناطق باسم المغول ، كما يقومون بدفع مبالغ سنويه الى زعماء العصفوريين لتسكينهم ولكي يقفوا الى جانبهم عسكريا عندما تدعوا الحاجة لذلك • ومن خلال هذه العلاقات المتشابكة التي يرتبط بها العصفوريون يمكن لنا ان نعلل السبب في عدم تعرض هذه القوة لهجومهم عند وصولها الى القطيف ، ان لم يكن هناك سبب اخر كالخشية من هذه القوة الضخمة نفسها •

لقد اثارت انباء الاستعدادات التي تجرى لارسال هذه الحملة ضد مكة، ذعرا شديدا لدى السلطان المملوكي الناصر محمد قلاوون ، خصوصا اذا ماعرفنا بان السلطان المغولي خدابنده محمد كان ينتمي الى المذهب الشيعي ، الامر الذي ادخل عنصرا جديدا في الصراع مابين القوتين • لذا فقد سارع السلطان الناصر قلاوون بارسال الاوامر الى قبائل طي وامرائهم من آل فضل بان يهاجموا القوة المتجهه نحو مكة ، كما ارسلت الاوامر لاثارة كافة القبائل العربية للتحرك ضد هذه الحملة خصوصا قبائل جنوب العراق ، وربما تم الاتصال ايضا بالعصفوريين •

ومهما يكن امر فان هذه الحملة قد اصيبت بكارثة كبيرة • فعند وصولها الى القطيف وصلتها الاخبار بوفاة السلطان خدابنده وبأن على رجال الحملة ان يتفرقوا • وقد هيأت هذه الظروف فرصة جيدة لقبائل طي – التي كانت قد وصلت البصرة في اثر الحملة وانظمت اليها قبائل البصرة – لكي تهاجم هذه الحملة في طريق تراجعها فاوقعت بها خسائرا مادية كبيرة ، وقد وصف ما غنم من هذه الحملة من اموال « بأنه شيء عظيم » (٨١) • على اننا لانستطيع ان نقرر الموقف الذي كان قد اتخذه بنو عصفور من الحملة وهي تواجه هذا المصير ، فهل شاركوا في الهجوم عليها ام لا ؟ والذى يبدو ان غالبيتهم قد وقفوا على الحياد تاركين الحملة تلاقي مصيرها ومعنى ذلك ان التزاماتهم العسكرية تجاه الطيبيين غير ملزمه لهم بمساعدة المغول •

على انمواقف العصفوريين قداضحت اوضح من السابق فيما وقع من احداث لاحقه ، فابو الفدا يذكر بأنه حين اظهر الامير مهنا امير طي في بلاد الشام والعراق عصيانه على السلطان الناصر قلاوون وقيامه بتهديد ارياف الشام وطرق التجارة التي تربطها بالعراق • ثم قيام اخيه فضل بن عيسى بالذهاب الى بغداد والالتجاء بالسلطان المغولي ابي سعيد بن اولجايتو (١٣١٦ ـ ٣٥) ، الذى رحب به كثيرا واقطعه البصرة • فما كاد الامير فضل بن عيسى الطائي يستقر في البصرة واتباعه حتى قام بنو عصفور عام ١٣١٨/٧١٨ بمهاجمته وطردوه من البصرة • فسارع اخوه الامير مهنا لنجدته وتوجه صوب بني عصفور ، الا انه اضطر لسبب ماعلى الانسحاب من دون ان يدخل في معركة معهم ، وقد غنم بني عامر اموال طائلة تعود لقبائل طي واتباعهم وقد قدرت بما يزيد على العشرة الاف بعير (٨٢) •

ان قيام العصفوريين بمهاجمة آل فضل واتباعهم في البصرة يمكن ان يعزي الى احدى السببين التاليين : الاول ان يكون قد تم بايعاز من السلطان الناصر قلاوون للانتقام له من آل فضل ، والثاني والذي قد يكون هو الارجح ان يكون قد تم بتحريض من الملك عز الدين عبد العزيز بن ابراهيم الطيبي (ت ١٣٢٥/٧٢٥) والذى سبق وان ذكرنا بانه كان يحكم اقليم فارس ومعظم اجزاء الخليج العربي • وان العراق العربي بما فيه البصرة كان قد اقطعه المغول لوالده ثم اقطع له ايضا بعد ان اعقب والده في السلطه • فقيام السلطان ابو سعيد باقطاع البصرة لأل فضل كان يعني خسارة مادية للطيبيين ، فطرد آلفضل من البصرة من قبل العصفوريين الذين يدينون بالتبعية لعز الدين عبد العزيز ربما قد يرغم السلطان ابي سعيد على اعادة اقطاعها للطيبيين كما كان في السابق •

ومهما يكن من امر فأن هجوم العصفوريين على آل فضل في البصرة كان فيه خدمة لكل من المماليك والطيبيين معا •

على ان العلاقة بين بني عصفور وسلاطين المماليك في مصر قد دخلت مرحلة جديده من القوة والرسوخ في عهد السلطان الناصر قلاوون والذي تولى السلطنة ثلاث مرات اطولها واهمها الفترة التي امتدت من ٧٠٩ الى ٧٤١ ـ ١٣٠٩ ـ ٤٠ ، ويبدو ان هذا السلطان كان يدرك اكثر من غيره مدى النفع السياسي والعسكري والاقتصادى الذى يمكن ان تؤديه العلاقة الحسنه مع امراء العصفوريين • والادله التي سوف نوردها تؤكد لنا قيام مثل هذه العلاقة • ويبدو ان احد اشكال هذا التعاون هو ان يتولى العصفوريون التعرض لقوافل الحجاج العراقيين والايرانيين التي قد تسير تحت راية السلطنة المغولية وذلك لمنعها من تحقيق اي كسب سياسي او

اقتصادي من ذلك • الا انه بعد ما تصالح السلطان الايلخاني ابو سعيد مع السلطان الناصر قلاوون قام مباشرة بتسيير قافلة الحج العراقية من البصرة عام ١٣٢١/٧٢١ ، قام العصفوريون باعتراض طريق هذه القافلة بالف فارس وارادوا نهبها • فما كان من المسؤولين عن قيادة هذه القافلة الا ان سارعوا لابلاغ بني عصفور بان القافلة قد سيرت بموافقة السلطان الناصر ، وعندما تأكد لبني عصفور الامر اجابوهم ـ لاجل الناصر نخفركم بغير شيء ـ وسمحوا للقافلة بمواصلة السير الى مكة •

فلما بلغ ذلك الامر السلطان الناصر سربه وبالغ في الانعام على بني عصفور (٨٣) •

على ان ابن فضل الله العمري يروي لنا ما يدل على قوة العلاقة ما بين العصفوريين والسلطان الناصر قلاوون اذ يقول «بان بني عامر قد توالت وفادتهم على الابواب العالية الناصرية واغرقتهم تلك الصدقات بديمها ، فاستجلبت النائي منهم وبرز الامر السلطاني الى آل فضل رؤوساء بوادي الشام بتسهيل الطريق لوفودهم وقصادهم ، وتآمينهم في الورود والعود ، وانثالت عليه جماعتهم ، واخلصت له طاعتهم • • • » ثم ان ابن فضل الله قد اوضح بان بني عامر قد استمروا في التردد على مصر باعداد كبيرة ، حيث قال « فكان لايزال منهم وفود بعد وفود ، وكان منزلهم تحت دار الضيافة ، لايزال يسد تلك الرحاب ويغص بقبابه تلك الهضاب، بخيام مشدودة بخيام ، ورجال بين قعود وقيام » ثم قال «وكانت الامره فيهم في اولاد مانع بن عصفور الى بقية امراء فيهم وكبراء لهم » (٨٤) • وقد ذكر لنا ابن فضل الله بعض اسماء زعماء بني عصفور الذين وفدوا على السلطان الناصر قلاوون عدة مرات والتقى هو بهم ، فذكر منهم هلال بن ابي الحسين العامري العقيلي ، والذي وصفه بانه من كبار قومه (٨٥) • وكلبي بن ماجد العامري العقيلي ، والذي قابله ابن فضل الله عام (١٣٣١/٧٣٢) في مصر وسمع منه بعضا من شعره ، ووصفه بانه من امراء البحرين وانه ذو وقار واجلال (٨٦) •

والواقع فان الجهاز المملوكي المعقد كان يضم في اقسامه ، قسما خاصا مهمته متابعة شؤون القبائل • وهذا الدائره تسمى المهمنداريه ، والموظف المسؤول عنها يسمى المهمندار (٨٧) •

كما ان الاداره المملوكيه قد اعتنت عناية خاصه بمراتب رؤوساء القبائل ، فقسمتهم الى رتب كل بحسب قوته وسعة نفوذه والخدمات المتوقعه منه • وعلى اساس هذه الاهمية ثبت اسلوب مكاتبته والالقاب التي يجب ان تذكر عند مراسلته •

وفيما يخص امراء بني عصفور ، فبعد ان ضبطت اسماؤهم ، صنفوا الى ثلاث مراتب · فاصبحت القابهم التي ترد في المراسلات معهم على الشكل التالي : فالمرتبة الاولى منهم يخاطبون في الرسائل بـ المجلس السامي الاميري · اما المرتبة الثانية فيخاطبون في الرسائل بالقاب مجردة من ياء النسب · كالمجلس السامي الامير ··· اماالذين يأتون في المرتبة الثالثة فيخاطبون بلقب مجلس الامير (٨٨) ·

هذا وقد اورد القلقشندي قائمة تتضمن اسماء امراء بني عصفور ومرتبة كل منهم في سلم المخاطبات السلطانية ، كل حسب اهميته · وسوف نورد هذه الاسماء في الموضع المناسب ، محاولين الاستفادة منها في معرفة نوع الادارة في الامارة العصفورية العامرية ·

بقي لدينا اشارة واحدة يجمل بنا ذكرها ، وهي تخص العلاقة مابين بني عصفور ومغول العراق · فقد ذكر الحسيني (ت ٧٦٥/١٣٦٣ ـ ٦٤) بانه في عام ٧٥٥/١٣٥٤ قام عرب البحرين بمهاجمة البصرة بهدف الاستيلاء عليها ، فتصدت لهم قوات المغول ، الا انها عجزت عن صدهم ومنيت بهزيمة · فما كان من حاكم العراق الشيخ حسن الكبير الجلايري ـ الذي كان قد خلف المغول الايلخانيين بعد انقراض دولتهم ـ الا ان استنجد بالامير فواز بن مهنا الطائي احد شيوخ الـ فضل والمتحالف مع الجلايريين فاستطاع الامير فوازايقاع الهزيمة بعرب البحرين من بني عصفور بعد ان قتل من الفريقين عدد كبير (٨٩) ·

والذى يبدو لنا ان هجوم بني عصفور على البصره كان بهدف تعويض خسارتهم الاقتصادية والسياسية باستيلاء ملك هرموز على جزر البحرين وارغام الامراء في بقية اجزاء بلاد البحرين على ان يدينوا له بالتبعية ، وهذا ماسوف نشير اليه عند الحديث عن علاقة بلاد البحرين بمملكة هرموز ·

يتضح لنا مما سبق بان سلاطين المماليك في مصر كانوا اوفر حظا ونشاطا من المغول في كسب ولاء رؤوساء القبائل العربية المختلفة بما فيهم بني عصفور ، وعلى امتداد رقعة جغرافية واسعة كما كانوا اكثر تقديرا للادوار التي يمكن للقبائل العربية ان تنهض بها في صنع الاحداث ·

(٧)

علاقة العصفوريين بالطيبيين حكام فارس وجزيرة قيس

ان الاضطراب في الحياة السياسية والاقتصادية في ايران والذى رافق ظهور المغول فيها ، قد انعكس اثره ايضا في مناطق واسعة من الخليج

العربي ، وكان من ابرز نتائج ذلك ضمور بعض القوى السياسية فيه وانكماش حجمها وظهور قوى جديدة نشطت لملء الفراغ في المنطقة • ففي حدود عام ٦٤٢/١٢٤٤ ـ ٤٥ قام الامير محمود بن احمد الكوسي القلهاتي ـ الذى ينحدر من اصل عربي ، كما تذكره الشاهنامه ـ بالاستيلاء على السلطة في ممكلة هرموز (٩٠) لينهي بذلك السلالة الحاكمة القديمة ويؤسس سلالة جديدة اخذت تلعب دورا خطيرا في الحياة السياسية والاقتصادية للخليج العربي لفترة طويلة • ولقد تطلعت نفس هذا الامير الطموح لبسط نفوذه على كافة سواحل الخليج العربي والبحر العربي ، فقام في العقد السابع من القرن السابع /الثالث عشر ، بقيادة حملة بحرية وبرية كبيرة هدفها اخضاع عمان الداخل • الا ان هدفه هذا سرعان ما اصطدم بمعارضة من قبل امراء عمان الداخل من النبهانيين ، مما جعله يغير في اتجاه حملته ويوجهها نحو ظفار التي كانت تحكمها اسرة الحبوضيين • وقد شن هجوما بحريا عليها بعد ان جند عددا كبيرا من العرب وفتك بأهلها ونهبها نهبا ذريعا وانسحب بعدها عائدا الى قاعدته قلهات • الا ان هذا النصر الذي احرزه الامير محمود القلهاتي لم يمر دون ان يدفع ثمنه غاليا • فقد تاهت قواته في الصحراء وهي في طريق عودتها برا الى مواطنها ، فمات عدد كبير من امراء هذه القوات جوعا وعطشا • اما بقية افراد هذه الحمله والتي تركت كحامية في قلهات ومعها عدد من السفن ، فقد تعرضت هي الاخرى لهجوم شنه عليها رجال قبيلة بني جابر ، فابادوها واحرقوا سفنهم الراسية في الميناء • ولقد قدرت المصادر العمانية عدد الذين كانوا قد هلكوا من افراد هذه الحملة بخمسة الاف رجل (٩١) •

ولقد اخطأ ولكنسون حينما ذكر بأن امير هرموز محمود بن احمد القلهاتي كان من بين الذين هلكوا في هذه الحملة (٩٢) ، اذ ان الامير القلهاتي قد عاش فترة غير قصيرة بعد هذه الحملة •

ان هذه النكبة التي اصيبت بها قوات الامير محمود القلهاتي لم توقف طموحه للسيطرة على مناطق الخليج العربي ، فقد قام في حدود عام ٦٧٠/١٢٧١ بحملة بحرية ضد جزيرة قيس احدى اهم المراكز التجارية في الخليج ـ وتمكن من الاستيلاء عليها • كما تمكن في حدود هذا التاريخ من اخضاع جزر البحرين والقطيف •

ويعدد لنا الشبانكاري (الف كتابه في حدود عام ٧٤٣/١٣٤٢ ـ ٤٣) ونطنزى (الف كتابه في حدود ٨١٦/١٤١٣) المناطق التي كان قد اخضعها الامير محمود بن احمد القلهاتي لسيطرته ، بانها قد شملت كل من ظفار

وقلهات وقيس والبحرين والقطيف ونزوين (٩٣) ، وان نفوذه اخذ يمتد من الهند حتى البصـرة (٩٤) ٠

والذي يبدو لنا ان الامير محمود قلهاتي لم يتمتع بنفوذه طويـلا في جزر وسواحل بلاد البحرين ، اذ ان اتساع سلطته كان يتهدد مشاريع المغول الاستراتيجية في السيطرة على طرق التجارة ما بين المحيط الهندى والبحـار العربية ، لذا فقد قـام الحاكم المغولي لبلاد فارس سوغونجاق ببنـاء اسطول في خورسيف عنـد سواحل فارس وهاجم بـه اساطيل اميـر هرموز عـام ١٢٧٢/٦٧١ ٠ الا ان هـذه الحمله منيت بهزيمة كبيرة ، فمـا كان من سوغونجاق الا ان عاود الكرة مرة اخرى وقام باستعدادات اكبر ، فبنى سفنا جديدة كما صادر سفن بني عصفور ورعاياهم من سواحل وجزر بلاد البحرين واستطاع بذلك تحقيق النصر على اسطول الامير محمود القلهاتي وتعقبـه حتى قلهـات ٠

ان البرفسور اوبين يبدي شكوكه في الرواية القائله بأن الامير القلهاتي كان قـد استطاع اخضاع جزر البحرين والقطيف ٠ فهو يرى بانـه من غيـر الممكن لأمير هرموز بعد الهزيمة التي احاقت باسطوله امام اسطول المغول ان يستطيع السيطرة على هذه الاجـزاء (٩٥) ٠

الا اننا نقول بأنه ليس هنـاك من مصدر يشير بأنـه قد تم للاميـر محمود القلهاتي بسط نفوذه على جـزر وسواحل بلاد البحرين بعـد هزيمته امـام المغول ٠ ان الاكثر قبولا ان يقال بانـه يستبعد على اميـر هرموز ان يحتفظ بسلطته على بلاد البحرين بعـد هذه الهزيمة ومهما يكن من امـر فان الفترة التي سيطر فيهـا اميـر هرموز على بلاد البحرين ربمـا كانت قصيرة جـدا ٠

ومما هو جدير بالذكر ان النبهاني قـد ذكر بأن جـزر البحرين كانت قد خضعت لحكم المغول مباشرة بعد زوال سلطة السلغريين ، مـن دون ان يبين سنده التأريخي في ذلك (٩٦) ٠ ولقد تابعه في ذلك آخرين ممن نقل عنه دون ادنى تمحيص ٠ ان الأدلة التي اوردناها أو التي سوف نوردهـا تضعف هذا التصور الى حـد كبير ٠ ويمكن ان نوضح ابتداء بأن جـزر البحرين يصعب اخضاعها بالقوة الا لمن يملك قـوة بحرية ضاربة في الخليج العربي ٠ وحيث ان المغول لم تتوفر لديهـم مثـل هذه القوة لذا فان فـرض سيادتهـم عليها امر مشكوك فيـه الى حـد بعيـد ٠

ومهما يكن من امـر فأن مالدينا من ادلة تكفي للقول بأن العصفوريين

كانوا في هذه الفترة يتمتعون بسلطة كاملة في بلاد البحرين وانهم اقاموا علاقة حسنه مع السلطان المملوكي الظاهر بيبرس على الرغم من العداء القائم بين هذا السلطان والمغول في العراق وايران . اما بخصوص ظفار فأن الحبوضيين كانوا اصحاب السلطة الواسعة فيها كما كانوا اصحاب النفوذ الاقوى في حضرموت ايضا الى الحد الذي جعلهم يتحدون الدوله الرسولية في اليمن . ومماهو جدير بالذكر ان كلا من ظفار والبحرين هي من المناطق التي ذكرتها المصادر بانها كانت خاضعه للامير محمود القلهاتي .

لقد كانت هناك صلات قوية ما بين العصفوريين في البحرين والحبوضيين في ظفار وحضرموت خلال هذه الفترة ونستدل على ذلك من انه عندما قام سلطان اليمن المظفر الرسولي عام ١٢٧٩/٦٧٨ بارسال حملة ضد ظفار الحبوضي ، ووصلت هذه القوات الى ظفار ، سرت اشاعة مفادها ان قوات بلاد البحرين قد وصلت لنجدة الحبوضيين مما اثار مخاوف القوات اليمانيه . وبالرغم من اننا لانملك معلومات كافيه عن مدى صحة هذه الاشاعات التي راجت في حينها ، الا ان مجرد انتشارها يعكس في الواقع وجود الصلة المتينة ما بين ظفار الحبوضي وحكام البحرين . على ان موقف امراء بني عصفور من ظفار سرعان ما تغير بعد ان نجح سلطان اليمن في انهاء حكم الحبوضيين فيها . فالخزرجي مؤرخ الدوله الرسوليه ، يذكر بانه « لما افتتح السلطان مدينة ظفار وقتل سالم بن ادريس ارتعدت الاقطار القصية هيبة للسلطان وامتلأت من خوفه قلوب ملوك فارس واصحاب الهند والصين . . . فارسل صاحب عمان بهديته... ووصلت هدايا صاحب الصين ، ووصل صاحب البحرين الى زبيد (٩٧) .. » ان كل ما نستطيع قوله مع كثير من التحفظ هو انه في اواخر القرن السابع/الثالث عشر ارتبطت بلاد البحرين بنوع من العلاقة الغير مباشرة بالمغول . اذ انه في عام ١٢٩٣/٦٩٢ اقطع الايلخان كيخاتو (٦٩٠/١٢٩١ - ٦٩٤/١٢٩٥) سلطان العراق وايران ، اقليم فارس بما فيه جزيرة قيس الى تاجر عراقي اسمه جمال الدين ابراهيم بن محمد الطيبي الملقب بأبن السواملي (٩٨) لمدة اربعة اعوام . وابراهيم هذا كان قد استطاع ان يجمع له ثروة طائلة من تجارة اللؤلؤ والخيول ومن احتكار التجارة ما بين الخليج العربي والمحيط الهندي وامتلك ما يقرب من مائه سفينة . فهو في عرف ذلك الزمان من اصحاب الملايين . ولقد حصل جمال الدين ابراهيم الطيبي من الايلخان المغولي على كل امتيازات الحاكم المستقل ، فقد منح لقب ملك الاسلام وان تضرب له النوبه في بابه ثلاث مرات (٩٩) .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا ان المقصود بالاقطاع الذى منحه الايلخان كيخاتو الى جمال الدين ابراهيم الطيبي ليس شبيها بالاقطاع الاوربي او الاقطاع الحربي ولا يقابل كلمة Fief بل ان المقصود به هو التفويض لشخص ما بادارة اقليم من الاقاليم ادارة شبه مستقلة مقابل قيامه بدفع مبالغ سنوية مقرره الىالخزينة المركزية للدوله الايلخانيه٠(١٠٠) ومهما يكن من امر فانه لم يكد تمضي سنة واحدة على تسلم ابراهيم الطيبي ادارة اقليم فارس وجزيرة قيس حتى تمكن من التخلص من موظفي الادارة المغوليه ، واخذ يحكم فيها حكما شبه مستقل ٠

ولقد استطاع ابراهيم هذا ان يدخل كلا من القطيفوالحسا وجزر البحرين الى دائرة نفوذه السياسي والاقتصادي ، مستغلا الخلافات الحادة بين الامراء العصفوريين ومعتمدا على قوته الخاصه دون الاستعانة بالمغول كما استطاع ان يدخل في دائرة نفوذه ايضا العراق العربي بما فيه المدينتين الهامتين واسط والبصرة ، بعد ان كان قد اقطعها اليه السلطان الايلخاني غازان (١٢٩٥ ـ ١٣٠٤) ، عام ٦٩٦/١٢٩٦ ولمدة ثلاث سنوات (١٠١) ٠ وخلال فترة تمتعه بالسلطة والتي امتدت حتى عام ٧٠٦ / ١٣٠٦ـ ٧ تمكن من احتكار التجارة ما بين الخليج العربي والمحيط الهندي ،بالتعاون مع اخيه تاج الدين عبد الرحمن الطيبي ، والذي كان هو الاخر قد استقل بحكم بعض المدن الساحلية في الهند (١٠٢) ٠

ومن اجل كسب رضى وولاء زعماء بني عصفور في بلاد البحرين لجا ملك الاسلام ابراهيم الطيبي الى اعطائهم مبالغ من المال سنويا (١٠٣) ٠مثلما كان يفعله السلغريون ٠

ان ظهور الزعامة السياسية لملك الاسلام جمال الدين ابراهيم بن محمد الطيبي ، في الخليج العربي تمثل اصدق تمثيل ماسبق ان ذكرناه عند الحديث عن سمات مجتمع الخليج العربي بانه قد افرز زعامات سياسية معتمدة على قوتها الاقتصادية وعلى كثرة اتباعها الذين يدينون لها بالتبعية الاقتصادية وانهم في قوتهم يوازون قوة الشيوخ والحكام،وهؤلاء هم تجار اللؤلؤ والخيول واصحاب السفن ٠ لقد استطاع ابراهيم الطيبي ان يؤسس سلالة عربية حاكمة في الخليج العربيتمكنت من السيطرة سياسيا واقتصاديا على كافة سواحله بل امتد نفوذهم الى السواحل الهندية ٠ ومن المؤسف حقا ان يتعمد باحث ايراني معروف هو المرحوم عباس اقبال الى اهمال الانتماء العربي لهذه الاسره ، .مثلما تجاهل ايضا ما ذكرته المصادر التي اعتمد عليها من ان الغالبية العظمى من سكان الساحل الايراني هم من العرب ٠ ولا يمكن ان يعزى ذلك الا الى شدة تعصبهضد العرب وتسخير بحثه لدعم ادعاءات سياسية معروفة ٠

بعد وفاة جمال الدين ابراهيم الطيبي عام ١٣٠٧/٧٠٦ اعقبه في السلطة ولده الملك عزالدين عبد العزيز ، كما ان بقية اولاده كانوا يحكمون في مناطق مختلفة من الخليج خصوصا في جزيرة قيس . وقد استمر نفوذهم قائما في البصرة وبلاد البحرين (١٠٤) . ومن المحتمل جدا ان العضفوريين قد اشتركوا الى جانبهم ــ بحكم ما تفرضه عليهم شروط التبعيهـ في الحرب التي دارت بين حكام هرموز وعز الدين عبد العزيز الطيبي والتي استمرت لمـدة ثلاث سنوات وانتهت لصالح الطيبيين (١٠٥) . وقد بلغت اسرة الطيبيين اوج قوتها واتساع نفوذها في هذه الفترة .

بعد وفاة الملك عزالدين عبد العزيز الطيبي عام ١٣٢٥/٧٢٥ ثـار النزاع حول السلطة بين احفاد جمال الدين ابراهيم الطيبي ، مما اضعفهم كثيرا وانتهى الامر بهم الى الزوال من اقليم فارس اولا على يد محمود شاه اينجو الذي نجح في تأسيس اسرة حاكمة في هذا الاقليم عام ١٣٢٥/٧٢٥ . وثانيا من جزيرة قيس على يد أمير هرموز قطب الدين تهمتن الثاني وذلك في حدود عام ١٣٣٠/٧٣١ . فلقد استطاع الاخير الاستيلاء على جزيـرة قيس وهي القاعدة الرئيسة لنفوذ الطيبيين السياسي والاقتصادي في الخليـج العربي ، كما استولى تهمتن فيما بعد على جزر البحرين ايضا .

ولقـد استغل امير هرموز قطب الدين تهمتن الثاني ، الفوضى التي عمت ايران والعراق في اعقاب وفاة السلطان المتولي ابي سعيد عام ٧٣٦/ ١٣٣٥ فاستولى على القطيف وأجزاء من السواحل العربية للخليج (١٠٦) . وفي هذا الصدد يقول الرحاله العربي الشهير ابن بطوطه ــ الذي كان قـد زار الخليج العـربي مرتين ــ بأنـه بعـد وفاة السلطان سـعيد الايلخاني تغلب المتغلبون على ملكه فمنهم الملك قطب الدين تهتمن (تهتمن) تغلب على هرمـز وكيشـس (التسـميه الفارسـية لقيس) والقطيف والبحـرين وقلهـات (١٠٧) .

يتضح لنا مما سبق بأن بلاد البحرين لم تخضع لنفوذ المغول المباشـر ، كما ذهب الخيال بالنبهاني انما كانت خاضعه لمدة تقرب من اربعة عقود مـن السنين لاسره عربية هي اسرة الطيبيين وانهم قد فرضوا نفوذهم عليها بقوتهم الخاصة . وان نفوذ الطيبيين كان يتركز في الاشراف على شؤونها الماليـة ، خصوصا واردات الكمارك وتركوا شؤونها الداخلية لامراء بني عصفور من آل عامر ، مع دفع مبالغ سنوية لهـم على ان يقدموا الدعـم العسكري الطيبيين كلما دعت الحاجه الى ذلك . ويمكننا ان نستثني جزر البحرين من ذلك . اذ ربما كان للطيبيين عليها اشراف اوسع من بقية بلاد البحرين نظرا لموقعهـا

واهمية مواردها . ويمكن ان نستدل على ذلك من قول المستوفي القزويني (الف كتابة عام ٧٤٠/١٣٤٠) من ان كل من البحرين والاحساء والقطيف والخط ودارين كانت في السابق تعتبر من مملكة العـرب ، امـا في الوقـت العاضر فان جزيـرة البحرين تدخل اداريا ضمن اقليم فارس امـــا القطيف والاحساء والامـاكن المجاوره لهـا فهي لاتعتـرف في معظـم الاوقات بحكام البحرين (١٠٨) . والذي يفهم مما ذكره المستوفي ، ان هذا الوضع في بـلاد البحرين ، هو الذي كان سائدا في عهـد الطيبيين ، بل ربما كان كذلك في عهـد ملك هرموز قطب الدين تهتمن الثاني . ولعل ابرز دليل على تحـرر بلاد البحرين من التبعية للمغول هو ما اسلفنا ذكره من قيـام العصفوريـين بالهجوم على البصرة بهدف احتلالها وهي جـزء من السلطنه الايلخانيه وذلك عـام ٧١٨/١٣١٨ ثم تعرضهم لقافلة الحـج العراقية التي ارسلها السلطان ابـو سعيد عـام ٧٢١/١٣٢١ . واخيرا علاقتهـم الوثيقة بمماليك مصر خصوم المغول خصوصا في عهـد السلطان الناصر قلاوون .

ان بلاد البحرين قد بقيت في هـذه الفترة تحكم من قبـل العصفوريين وهذا ما سبق ان اوردناه نقلا عن ابن فضل الله العمرى المعاصر لهذه الفترة.

ولعـل القلقشندي كان يدرك ما سوف يثور من جـدل حول الهويه السياسية لبلاد البحرين خلال هذه الفترات الغامضه . فقطع جازما بالقـول « بأن بلاد البحرين لم تزل بيد العرب »(١٠٩)ومن المؤسف حقا ان ابن بطوطة الذي قد زار كلا من جزر البحرين والقطيف والحسا خلال زيارته للخليج العربي في حدود عام ٧٣٢/١٣٣٢ لم يذكر لنـا اسماء حكام هذه المناطق او طبيعة علاقتهم بمملكة هرموز ، فاضاع بذلك علينا الفرصه للكشف عمـا يكتنف هذه الفتره من غموض . ومن الغريب ان رنز قـد نسب الى ابن بطوطـه القول بأن القطيف كانت تحكم من قبل اسرة جروان العقيلي (١١٠) . وهـذا مالم يقله ابن بطوطة قـط وما هو الاتخليط من رنز . ان ابن حجر العسقلاني هو الذي انفرد بهذه الرواية ونقلها عنه السخاوي ، وهذا ما سوف نشير اليه في موضعه المناسب . والذي نميل اليه هو ان بلاد البحرين لم تكن خاضعـة لأحـد عند زيارة ابن بطوطة لهـا وانه لم يقـابل امراءهـا لكونهم متغيبين عـن المـدن التي مـر بها ثم انه لم يمكث فيها الا فترة قصيرة .

لقد بقي ان نقول بان العملة المكتشفه في جزر البحرين من قبل البعثه الاثارية الدنماركية وهي تحمل اسم بادشاه ابو سعيد ، يمكن ان تصلح دليلا للعلاقة التي تربط هذه الجزر بحكومة الطيبين . ومن الغريب حقا ان يذهب الخيال بنيقولاس لوويك الى القول بان هذه النقود من المحتمل انها تعود الى حاكم ينحدر من اسره ابي سعيد الجنابي ، حكم في جزر البحرين في هـذه الفتـرة (١١١) .

علاقـة العصفوريين بمملكة هرمـوز

بدخول امارة العصفوريين ضمن دائرة نفوذ قطب الدين تهمتن الثاني في نهاية العقـد الرابع من القرن الثامن /الرابع عشر ، تكون الامارة قـد بدأت فترة جديدة في تأريخها اذ ان صلة بلاد البحرين بمملكة هرموز قد استمرت بعد ذلك لمـدة تزيد قليلا على القرن ونصف القرن ٠

والواقع فأن الفترة الاخيرة من عهد تهمتن الثاني تمثل بداية عهـد من القوة والازدهار شهدتها مملكة هرموز ٠ اذ بدأت تحـل في الزعامـة السياسية والاقتصادية محل جزيرة قيس بعد ان زال منها حـكم الطيبين ، على ان عهد تهمتن الثاني بالرغم من ذلك لم يخل من بعض المشاكل الداخلية٠ ففي ربيـع عام ١٣٤٥/٧٤٥ وخلال غيابه عن جزيرة هرمـوز ، دبر اخوه نظـام الدين كيقباذ ثورة ضده في الجزيـرة ونصب نفسه على اثرها ملكا فيها ، ولم تنجح محاولات تهمتن لاستعادة عرشه ، الا بعد الوفاة المفاجئة لاخيه كيقباذ ٠ وقد خلف ولدين هما شادي وشنبهاللذين عجزا عنالاحتفاظ بالسلطة من بعده فهربا بالخزائن والاموال ومعهم عساكرهم الى جزر البحرين حيث سيطرا عليها ٠ لكنهما لم يركنا الى الهدوء بعد استقرارهما في البحرين ، اذ تطلعت نفوسهما للسيطرة على جزيرة قيس ونجحا فيذلك حيثاتخذ شادي من قيس مركزا لحكومته ٠ وقد مثل هذا التوسع الذي قام به الاخوان شادي وشنبه تهديدا خطيرا لمملكة هرموز ، فجهـز تهمتن ضدهما حملة بحريـة هدفها استعادة قيس منهما ، الا انه فشل في حملته الاولى ٠ وعندما عاود الكرة في حملته ثانية نجحفي استعادة جزرية قيس ، مما اضطر شـادي الى الهرب واللجوء الى جزر البحرين ٠ وعلى الرغم من ذلك فأن الاخوين شادي وشنبه لم تفت في عضدهم هذه الهزيمة وواصلا الاستعدادات لاسـتعادة جزيرة قيس ٠ وعندما تهيئت لهم الظروف انطلقا من جزيرة البحرين بحمله بحرية كبيرة تمكنا بها من الاستيلاء على قيس ثم انطلقا منها لاكمال مـا اعتزما احتلاله من اراض ٠ ومن الطبيعي أن يتحرك عمهما ملك هرمـوز قطب الدين تهمتن الثاني لصد هذا الخطر الداهم على ملكة ، وقد تمكـن بعد معارك بحرية عديدة من استرجاع ما استوليا عليه من مناطق وخاصة جزيرة قيس ٠ وكان من نتيجة هذه الهزيمة التي حاقت بالاخوان ان ثـار بينهما النزاع ، اذ أن شادي قد حمل اخاه شنبه مسؤولية هذه الهزيمة مما اضطر الاخير على الهرب من البحرين والالتجاء الى شيراز (١١٢) ٠

ومن الجدير بالذكر ان ابن بطوطه عندما زار جزيرة هرموز عـام ١٣٣٦/٧٤٧ كان ملكها قطب الدين تهمتن الثاني مشغولا بحربه مع ابنـاء

اخيه • وقد قال ابن بطوطه بأن هذه الحرب قد سببت ضررا كبيرا لتجـارة الخليج العربي وخصوصا لبلاد البحرين ، التي قال عنها بأن معظمها قـد تخرب لتعرضها لهجمات شادي وشنبه (١١٣) •

ومهما يكن من أمر فأننا لا نملك اي معلومات عن موقف بني عصفور خاصة وسكان بلاد البحرين عموما من هذه الحروب • الا انه يفهم من كلام ابن بطوطه بأن الاخوين شادي وشنبه كانا قد حاولا الاستيلاء على سـواحل بلاد البحرين وقاموا بعدة هجمات عليها الا انهما صدوا في جميع هجماتهم هذه • وكانت النتيجة ان اصيبت بلاد البحرين باضرار مادية كبيرة •

وعندما توفى ملك هرموز قطب الدين تهمتن الثاني عام ١٣٤٧/٧٤٨ ـ٤٨ حاول شادي الاستفادة من هذا الظرف فانطلق بحملة بحرية جديدة من جزيرة البحرين وتمكن بواسطتها من الاستيلاء على جزيرة قيس • وكان على ملك هرموز الجديد تورانشاه الذي اعقب والده في الحكم ، ان يحسم الوضع مع ابناء عمه لذا فقد جرد حملة ضد شادي وتمكن بعدمعارك مـن طرده من قيس واضطره للهرب الى جزيرة البحرين • ولم تمضي الا مـدة قصيرة على عودته الى البحرين حتى وافاه الاجل مخلفا ولدا صغيرا •

وعندما علم تورانشاه بوفاة ابن عمه ، لم يتحرك نحو البحرين بـل انه اعطى حكم الجزيرة لابن شادى الصغير • الا ان شنبه الذي كان يراقـب الموقف عن كثب وهو في شيراز ، سارع الى جزيرة البحرين واستولى على السلطة فيها بعد ان قتل ابن اخيه ونكل بقسوة بكافة اتباع اخيه ممن كان قد وقف ضده عندما تنازع مع اخيه • لقد اشاع شنبه الرعب في الجزيرة فاخذ يهرب منها سكانها خشية من بطشه • وفي هذا الجو الارهابي الذي خلقته نوازع شنبه ، اخذ زعماء جزيرة البحرين يتحركون ويتكتلون لازاحته عن كاهلهم وتخليص الجزيرة من السيطرة الخارجية واعادة الحكم فيهـا الى زعمائها الاصليين • ويفهم مما ورد في الشاهنامه انه كان في جزيرة البحرين ثلاثة زعماء بارزين لهم ثقلهم في الحيـاة العامة • الاول هو الشيخ احمد بن راشد ابن [مانع بني عصفور] زعيم بني عصفور من عامر • والثاني على بن محمد البهلوان والذي كان شنبه قد اودعه السجن لان اتجاهاته فيما يبدو معادية لشنبه وللحكم الاجنبي في الجزيرة هذا ومن المحتمل ان لقب البهلوان الذى يحمله على بن محمد يعود لكونه قائدا لقوافل الحج • اذ ان كلمـة البهلوان تأتي بالفارسية بمعنى البطل والشجاع ، كما تأتي بمعنى امير الحج • واذا صح ما ذهبنا اليه من ان هذه الكلمة قد استعملت لقبا له بمعناها الثاني فلابد يكون على بن محمد من اصحاب الثروة والنفوذ في الجزيرة بالاضافة ال

احتمال وجود صلات واسعة له مع زعماء بني عصفور وبقية زعماء القبائل العربية لما يتطلبه نجاح قيـادة قوافل الحجاج من وجود مثل هذه الصلة . ومهما يكن من امر فان ميوله السياسية والتي سوف تظهر فيما بعد ربما تعزز ماذهبنا اليه . اما الزعيم الثالث فهو الامير عجيب Ageb والذى نميل اليه ان هذا الاسم ربما قد حرف عن اصله نتيجة لترجمة الشاهنامـه الى اللغات الاجنبية . وان الاسم الاصلي له قد يكون عجيل او عقيل . وعلى كل حال فأن الامير عجيب او عجيل كان اسبق زعماء البحرين للعمل ضد شنبه . اذ جمع اتباعه وهاجم شنبه في قصره وتمكن من اقتحامه وقتل شنبه . وبذلك اصبحت السلطة في الجزيرة في يديه . الا انه رأى بانه لكي يستتب الامر له لابد من الحصول على تأييد اصحاب النفوذ القوى فيها . فسارع للاتصال بعلي بن محمد البهلوان . الذي كان اطلق سراحة فور نجـاح انقلابـة وكاشفة بنواياه في الاستقلال بالبحرين وطلب منه الدعم والتأييد . الا أن البهلوان سرعان ما خيب اماله واصر بدلا من ذلك على ان تضم جزيـرة البحرين الى بقية بلاد البحرين كما كانت في السابق وان يعود الحكم فيها الى بني عصفور العامريين الامر الذي جعلهما يفترقان في الهدف والعمل ، ومن الطبيعي ان تكون وجهة نظر الشيخ احمد بن راشد زعيم بني عصفور في جزيرة البحرين متطابقة مع وجهة نظر البهلون . لذا فقد اخذا يعملان معا في هذا السبيل ولكي يتحق لكل من الشيخ احمد بن راشد وعلي بن محمد البهلوان ما يهدفان اليه قام هذان الزعيمان بالذهاب الى القطيف واتصلا بحاكمها الشيخ ماجد وطلبـا منه العون للتخلص من الامير عجيب او عجيل وضم جزيرة البحرين الى القطيف . الا ان موقف حاكم القطيف الشيخ ماجد كان مفاجئا لهما عندما رفض طلبهما لشكوكه في نواياهما ، معتقدا بان هدفهما الحقيقي هو الاستيلاء على السلطة في جزر البحرين والاسـتقلال فيها . لذا فقد فضل ان تعود الجزر الى سلطة مملكة هرموز وان يحافظ على علاقة التبعية معها لذا قام الشيخ ماجد بأعتقال هذين الزعيمين وارسلهما مخفورين على ظهر سفينة الى الامير تورانشاه . والواقع فان الموقف الذى وقفه حاكم القطيف من الشيخ احمد بن راشد زعيم بني عصفور في البحرين ومن حليفة البهلوان ليؤكد عمق الخلافات بين زعماء بني عصفور ، وهذا ماعبر عنه ابن فضل الله العمرى وهو يتحدث عن وضع زعماء بني عصفور حينما قـال ... الا ان الكلمـــة قـد صارت بينهـم شتى ، والجماعـة متفرقة (١١٤) . وبعد اطلاع ملك هرموز تورانشاه على احداث البحرين سارع اليها على رأس قوة بحرية ، وبصحبته الشيخ احمد بن راشد وعلي بن محمد البهلوان . فما كان من الامير عجيب الا ان سارع لاستقباله وقدم له فروض الطاعه ، والتمس منه تكليفه بحكم جزر البحرين مقابل الخدمات

التي قدمها بقضائه على شنبه ·

الا ان تورانشاه كما يبدو لم يطمئن الى نواياه ، وانما كان يعتزم احكام سيطرته على الجزيرة لذا فلم يكتف برد طلبه بل هدده بأوخم العواقب· فما كان من الامير عجيب (عجيل) والخطر يهدد حياته ، الا ان هرب من المنامه وهي ميناء البحرين الرئيس — واختفى في احدى القرى في الجزيرة ، لكن مكان اختفائه اكتشف فقبض عليه حيث اعدم ·

اما الشيخ احمد بن راشد وعلي بن محمد البهلوان فقد اطلق تورانشاه سراحهما بعد ان كان قد استرضاهما · امضى تورانشاه فترة من الزمن في جزر البحرين كان خلالها مشغولا بترتيب الاوضاع فيها بالشكل الذي يمنع تكرار ماحدث في السابق · على ان تورانشاه نفسه — والذى ينسب اليه تأليف كتاب الشاهنامه المكرس لتأريخ ملوك هرموز — لم يذكر لنا الوضع السياسي والادارى الذى استقرت عليه الامور في البحرين · وهل عين عليها حاكما من افراد اسرته يخضع له مباشرة، ام انه جعلها تابعة الى حاكم القطيف الذى ابدى اخلاصا وطاعة له ؟

ومهما يكن من امر فان تورانشاه بعد ان اكمل مهمته في البحرين غادرها الى القطيف حيثاستقبله بترحاب شديد حاكمها الشيخ ماجد · وقد وصفت الفترة التي قضاها في القطيف بأنها فترة راحة واستجمام علىانه كمايبدو قداستهدف منهذه الزيارةتأكيد تبعيةكلمن القطيفوالحسا الى مملكته · وبعد أن تأكد لتورانشاه استقرار الامور في بلاد البحرين بالشكل الذى يريده ، غادر القطيف الى جزيرة البحرين ومنها الى جزيرة هرموز حيث مقر ملكه(١١٥) ·ان الامر المهم الذي نفتقر اليه بخصص احداث بلاد البحرين هو معرفة تأريخ حدوثها · فتورانشاه الملك المؤرخ لم يشر الى ذلك · الا انه من المحتمل انها وقعت فيما بين العقد السادس والسابع من القرن الثامن/الرابع عشر · هذا ومما يجدر ذكره ، ان الملك المؤرخ تورانشاه قد توفي عام ٧٧٢/١٣٧٠ — ٧١ بحسب ماروواه نظنزى وعام ١٣٧٧/٧٧٩ — ٨ بحسب ماروواه تكسيرا · اما منجم باشي والذى اعتمد فيما كتبه عن ملوك هرموز على القاضي غفارى ، فقد ذكر انه توفي عام ١٣٨٦/٧٨٨ (١١٦) ·

وبقي ان نقول ان كتاب الشاهنامه يمثل مصدرا قيما لمعرفة تأريخ القوى السياسية في الخليج العربي خلال الفترة التي تطرقنا اليها في بحثنا هذا وقد القت المعلومات التي زودنا بها هذا المصدر الثمين الضوء على هوية القوى الحاكمة في بلاد البحرين وطبيعة صلتها بمملكة هرموز· ومن الواضح ان بلاد البحرين كانت لاتزال تحكم في هذه الفترة من قبل بني

عصفور العامريين الأمــــر الذي ينفي الرواية القائلة بأن حكمهم قــد زال في هذا التاريخ من بلاد البحرين وحــل محله حكم بني جــروان • وهذا مــا سوف نتعرض له بالنقد عند الحديث عن زوال حكم بني عصفور •

على انه من المفيد مواصلة البحث في العلاقـــة مابين مملكة هرموز وبلاد البحرين والوقوف بها في حدود نهاية النصف الاول من القرن التاسع/ الخامس عشر ، بغض النظر عما حدث خلالهــا من تغيير في الاسرة الحاكمة في بلاد البحــرين • على ان نعاود الحديث في هذه الصلة خــلال الفتــرات اللاحقة وذلك عنــد بحثنا عن الدور الثاني لحكم بني عامــر تحت زعامــة بني جبـــر •

لابد لنــا ابتداء من نفي ماذكره النبهاني من ان جــزر البحرين كانت قد خضعت لحكم تيمورلنك • (١١٧) ان ماذهب اليه النبهاني لايستند الى دليل، فنظام الدين شامي وشرف الدين يزدي اللذان الفــا في سيرة تيمورلنك لــم يوردا اية اشارة في هذا الصدد • فكل ما اوردا ذكره هو وصــول قــوات تيمورلنك الى سواحل الخليج العربي ، فتيمورلنك ارسل عــام ٧٩٦/١٣٩٣ ــ ٩٤ حملة عسكرية بقيادة حفيده امير زاده محمد سلطان بن جهانكير ، نحــو اقليمي فــارس وكرمان حيث استطاعت اكتساح مدنهــا وقلاعهــا والموانيء المطلة على الخليج العربي ووصلت في تقدمها الى ذلك الجزء من كرمان الذى يسمى موغستان او هرموز القديمة ويعتبر جــزء من مملكة هرموز مما اضطر ملك هــرموز محمد شــاه الى الهــرب مــن جيوش تيمورلنك والاعتصــام بجزيرة هرموز • ولمــا كانت جيوش تيمورلنك لاتملك السفن فأنهــا وقفت عاجزه عن احتلال الجزيرة ، ومع ذلك فأن محمد شاه اضطر الى دفع مبالــغ كبيرة الى حفيد تيمورلنك لقاء الاعتراف به حاكما في هرموز •

ان هذه الرواية عن علاقة تيمورلنك بالخليج العربي يؤكــدها ايضا نطنزي المعاصر للاحداث ومثل ذلك يرد عنــد منجم باشي وليس هنــاك مــن روايـــة البتــة يفهــم منهــا خضوع بــلاد البحـــرين او جزء منهــا لنفوذ تيمورلنك (١١٨) ونعيد القول بأنه لا يمكن لقــوة خارجية لا تمتلك اسطولا قويا من اخضاع بــلاد البحرين •

ومن المفيد هنا ان نلفت النظر الى حقيقة كانت قائمة وهي ان ملوك هرموز كانوا قبل غزو تيمولنك وبعدها يقومون بدفع مبالغ من المال لكل من حكام كرمان وفارس من المظفريين وبني اينجو ، بشكل منتظم تاره وغيـــر منتظم تارة اخرى وذلك بحسب ما تقتضيه الظروف العامة • وبالرغم من ذلك لايمكن القول بأن بلاد البحرين التي تدين بالتبعية لملوك هرموز في ذلك الحين، خاضعة بشكل مباشر او غير مباشر لحكام تلك الجهات • والواقع فأن الاعتبارات

الاقتصادية والسياسية هي التي ترغم امراء بلاد البحريـــن على ان يدينوا بالتبعية لمن يمتلك قوة بحرية متفوقة في ميـاه الخليج العربي ، لئـلا يؤدي وقوفهم في وجه هذه القوة الى الحاق ضرر كبير بنشاطهم التجارى ، بأعتبار ان بلاد البحرين تشكل حلقـة الصلة مابين الطرق التجاريـة البحريـة والبرية او الى اضعاف مركزهـم العسكري تجاه خصومهم السياسيين في الداخـــل ٠

ومن المفيد ايضا ان نورد ماذكرته بعض المصادر ان تيمورلنك بعـد استيلائه على بغداد عام ١٣٩٣/٧٩٥ قام بأرسل حملة عسكرية الى البصرة بقيادة ابنه ميرانشاه ، الا انها منيت بهزيمة كبيرةفيها واسر ابن تيمورلنك٠ ان الذي يهمنا من هذه الواقعة هو ان المصادر قد ذكرت بأن الذي هزم جيوش تيمورلنك في البصرة اسمه صالح بن جولان (١١٩) ٠ وقد وصف صالح هذا بأنه صاحب البصرة والبحرين ، وانه كانت تلتف حوله اعداد كبيرة من عرب البصرة والبحرين (١٢٠) ٠

ومهما يكن من امر فأن هذه الحادثة تفيد بأن عرب البحرين قـد قاوموا جيوش تيمورلنك في البصرة ، واذا كان تيمورلنك قد نجح اخيرا في الاستيلاء عليها فأنه لم تردنا اشارة تفيد بقيامه بهجوم برى على بلاد البحرين ٠

ان مانملكه من شواهد تدل على ان بلاد البحـرين قد استمرت خـلال القـرن التاسع/الخامس عشـر تدين بالتبعيـة للمـلوك هرمـوز ٠ فالسخاوي (ت ١٤٠٧/٩٠٢) عندما ترجم لقطب الدين فيروزشاه وصفه بأنه ملك هرموز والبحرين والحساء والقطيف ، كما ان السخاوى نفسه قد وصف ايضا سيف الدين مهار الذي اطاح بحكم والده فيروز شاه سنة ١٤١٧/٨١٩ ، بأنه صاحب جزيرة هرموز والبحرين (١٢١) ٠ اما جعفرى فقد ذكر عنـد حديثه عن سيف الدين مهار بأنه قد قام بأرسل حكام من قبله الى مناطق عديدة،وذكر من بينها القطيف والبحرين (١٢٢) ٠ ويعطينا منجم باشي صورة اخرى عـــن الموقف ٠ فعند حديثه عن الانقلاب الذى دبره سيف الدين مهار ضد والده الذى كان متغيبا في الحـــج قال بأن سيف الدين مهار قـد استولى على جيـرون والبحرين وعمان والقطيف وقلهات وهـرموز ومنوجان وغيرهـا وضبـط البلاد (١٢٣) ٠ ومما هو جدير بالذكر ان حاكم قلهات فخـر الدين تورانشاه قـد قام بثورة اطاحت بحكم اخيه سيف الدين مهار عام ١٤٣٦/٨٤٠ ــ ٠٣٧ ان ثورة فخر الدين تورانشاه ضد اخيه قـد تمت بتحريض ومساندة منزعماء العرب الذين كان هدفهم فيما يبدو اضعاف الاسرة الحاكمة في هرموز والتخلص من تحكمها في بلادهم (١٢٤) ٠

ان فترة حكم فخر الدين تورانشاه في هرموز تمثل بداية انحسار وضعف في نفوذ مملكة هرموز ، وتمثل ايضا انكماشا في نفوذها على بلاد البحرين ، حتى انتهى الامر اخيرا الى استقلال تلك البلاد على يد احد بطون بني عامر وهم بنو جبر ٠ وهذا ماسوف نتطرق اليه في الجزء الثاني من هذا البحث ٠

نهايـة الامـارة العصفـورية

على الرغم من افتقارنا الى الحد الادنى من المادة التأريخية التي مـن خلالها يمكن ان نتلمس طريقنا في ظلمة الغموض الذى يلف بلاد البحرين خلال الفترة التي نتصدى لكشفها ، الا أننا نمتلك بعض ادوات التصور لمـا نتوقع ان يكون قد حدث ببلاد البحرين ، مستهدين بضؤ الدراسات الاجتماعية التي نشرت والمتعلقة بقوى سياسية واجتماعية مماثلة في ظروفها الاقتصادية وبناءها الاجتماعي والتحولات التي مرت بها ، مع اوضاع الامارة العصفورية ، على الرغم من وجود التفاوت الزمني في احداثهما اذ انه مع الثبات النسبي لظروف التحولات الاجتماعيـة والسياسيـة ، يكـون للتفاوت الزمني تأثير محدود (١٢٥) ٠

عند بحثنا في العلاقة مابين بني عامر والعيونيين اشرنا الى بروز تحول هام في الحياة الاجتماعيـة والاقتصاديـة لبني عامر ٠ فبعد ان كانت وسائل انتاجهم الرئيسة ، التي يتساوون في الانتفاع بها تعتمد على المراعي ومصادر المياه وترفدها عمليات الغزو والتي يرافقها عادة السلب والنهب ، وكذلك ارغام قوافل الحج والتجارة على دفع الاتاوة لهم ، اصبحوا منذ القرن الثاني عشر يتغلغلون في أرياف بلاد البحرين وسواحلها ، فأمتلكوا المزارع والبساتين وعيون المياه والسفن البحرية ومغاصات اللؤلؤ ٠كما أخذت تبرز فيما بينهم افخاذ وبطون تلتف حول هذه الزعامة القبلية او تلك ،كما ان هذه الزعامات اخذ كل منها يقف بقوته العسكرية الى جانب احد الحكام العيونيين العديدين المتنافسين على السلطة ، وذلك كل حسب ما تمليه عليه مصالحه ٠

ان كل هذه الظواهر تعني بأن الاطار الاجتماعي الرعوى لبني عامر قد اخذ يتبدل ويتفكك ٠ فبعد ان كانت الروابط الاجتماعية تدور حول الرابطة القبلية الواسعة اصبحت هذه الرابطة غير وثيقة ثم تلا ذلك تطور سياسي هام في حيات بني عامر ، فالضرورات الحربية الجديدة والنزاعات فيما بينهـم والحرص على ضمان حماية وسائل انتاجهم ومصالحهم الجديدة قد ادى الى بروز سلطة سياسية اتخذت شكل الامارة التي اقامها الشيخ عصفور بن راشد شملت بلاد البحرين واجـزاء من نجـد وعمان ٠

ان نجاح قوة قبلية بتأسيس سلطة سياسية في بقعـة يسودها الطابع القبلي ، يعني العمل على انهاء المساواة في الانتفاع بوسائل الانتاج على الاسس القبلية ، لانه من غير الممكن ايجاد الموازنة بين ادعاءات القوى القبلية

ومصلحة الاسرة الحاكمة الجديدة ٠ فالدولة تعمل على توسيع سيطرتها الاقتصادية وتطوير الملكية الخاصة وتنشيط المصالح التجارية والفعاليات الاقتصادية المختلفة،وكذلك تنظيم استيفاء الضرائب وحماية المنتجين ٠كمانها من الجهة الاخرى ترفض الاعتراف للمجاميع العشائرية بحق الانتفاع واياها على قدم المساواة بكل ذلك،مما يؤدي في كثير من الاحيان الى حدوث النزاعات فحالة الشقاق العشائرية حالة ملازمة لمثل هذه المجتمعات ، لان كل مجموعة من البطون لاتعترف بحق اي مجموعة قرابية بان تنفرد دونها باحتكار السلطة والانتفاع بالموارد ٠ اذ علينا الا نتوقع بان التحولات التي ادت الى قيام الامارة العصفورية في بلاد البحرين والتطورات الاجتماعية التي رافقت ذلك ، كانت قد مست بالتغير المجاميع العشائرية القرابية بشكل رئيس وانها دمرت كيانها الاجتماعي ٠ فسلاحها كان لايزال كامنا وموجودا ، الامر الذى يؤدي في بعض الاحيان الى تمردها كلما شعرت بعدم انسجامهامع كيان الدولة ٠ على انه يجب ان نستدرك ونقول بان المجاميع العشائرية من الافخاذ والبطون تعترف من الجهة الاخرى ، وفي أي مستوى اقتصادي واجتماعي كانت ، بارتباطها بمجموعات اوسع من خلال رابطة النسب الاكبر ، وبالاهمية الكبيرة للشيخ الذي يمثل وحدتها العسكرية ، على انه من الخطأ في تصوراتنا لطبيعة موقف السكان في بلاد البحرين من السلطة الحاكمة ، ان يقتصر حديثنا على بطون وافخاذ بني عامر ، علينا ان نبدي الملاحظات ايضا بخصوص طبيعة الروابط التي تربط فيما بين السكان المستقرين ثم بما يربطهمبالسلطة الحاكمة وطبيعة موقفهم منها

ان السكان المستقرين في بلاد البحرين سواء اكانوا في المدن والقرى والواحات ام على سواحل الخليج تربطهم روابط اقتصادية واجتماعية بالسكان القبليين ، فهم يتحولون من خلال الانصهار والاندماج البطيء الى وحدة كبيرةذات صلةقربى٠على انالسكان المستقريننفسهم من الجهةالاخرى – على الرغم من وجود الملكية الخاصة للارض وما ينتج عنها من تمايز في الثروة والمراتب الاجتماعية – يتحدون في روابطهم ويتكتلون بحسب المدن والاحياء والقرى ، ويثور بينهم النزاع على اساس هذه التكتلات ٠ كما انهم قد يتكتلوان في قوتهم البشرية والمادية بحيث يصبحون من القوة في بعض الفترات بالشكل الذى يمكنهم من السيطرة على القبائل المحيطة بهم ، او يقيمون تحالفات معهم ٠

على ان الملاحظة الاخرى الجديرة بالاشارة بخصوصالسكان المستقرين، هي ان ضروب النشاط الاقتصادي المختلفة التي يمارسونها تتطلب توافر

الأمن والاستقرار ، اذ بدون ذلك لايمكن للنشاط الاقتصادي ان يزدهر ، لذا فهم يساندون الحكم الذي يحقق لهم ذلك ، فمصلحتهم الخاصة اذا ذات صلة بمصلحة السلطة السياسية القهرية • وكثيراً ما تلجأ الاسرة الحاكمة الى توثيق صلتها بقطاعات السكان المختلفة وتدعيم مركزها بينهم ، عن طريق المصاهرات المتعددة الجوانب •

على انه يجب الا يغيب عن بالنا في ان طوائف السكان المستقرين يتباينون في درجةولائهم للسلطة ، فاذا كان من السهل اضطهاد الفلاحين واستغلالهم من قبل الأسرة الحاكمة نظراً لارتباط نشاطهم الاقتصادي بالملكيات الزراعية الثابتة ، فأن طوائف التجار والصناع تتميز ولاءاتهم عموما بعدم الثبات ، اذ كثيراً ما يلجأون الى تبديلها تبعاً لموازين القوى ومصالحهم الخاصة • فأى تبديل في خطوط المواصلات التجارية او زيادة كبيرة في الضرائب التي يفرضها الحاكم عليهم ، او بروز هيمنة لقوى جديدة منافسة في منطقة اخرى داخل البلاد او خارجها ، كل ذلك يحملهم على تبديل في مواقفهم ويتمثل في اخذهم اموالهم ورحيلهم ، ما نحين ولأهم لمركز القوى الجديد • فهم بذلك يشبهون الجنود الاجراء والعبيد الذين يهجرون اسيادهم عندما يضعفون • كما انهم من الجهة الاخرى بعكس البدو في ولائهم ، اذ ان الأخيرين يبقى ولاؤهم ثابتا نسبيا لقبيلتهم ولا يمنحون ولاءهم لاية قوة على حساب ولائهم لقبيلتهم •

وبما ان احدى مصادر الثروة الرئيسة في بلاد البحرين تعتمد على النشاط التجاري وما يجلبه من فوائد من خارج البلاد ، كان على حكامها ــ من اجل الثروة ــ ان يتنافسوا من أجل السكان مثلما يتنافسون من أجل الارض • ففي السياسة في بلاد البحرين لابد ان يعطى للسكان بالغ الاهمية لانهم مصدر ثروة البلاد •

لاشك بان التصور الذى قدمناه سوف يساعدنا الى حدما في تفهم التفاعلات والتحولات والصراعات التي كانت تحدث في بلاد البحرين في ظل الامارة العصفورية والتي أدتفي النهاية الىالتفكك السياسي والانحلال ثم الى زوال سلطتهم من البلاد • وما بقي لدينا الا ان نستعرض ما توفر لدينا من مادة تاريخية شحيحة •

ان الذى نميل اليه هو ان الشيخ عصفور بن راشد خلال جهوده لانتزاع السلطة من العيونيين والسلغريين والفترة التي اعقبتها ، كان قد كسب الى حد كبير تأييد ومؤازرة قطاعات عديدة من السكان المستقرين بالاضافة الى معظم بطون وافخاذ بني عامر واستطاع ان يلفهم حول حكمة • والذى يبدو

لنا ايضا ان الشيخ عصفورا كان قد اشرك في السلطة بعض بطون بني عامر اضافة الى اسرته ، فعلى الرغم من انه كان قد وزع السلطة في بلاد البحرين واليمامة على اولاده ، فأنه قد اشرك الشيخ مانع بن علي بن ماجد بن عميرة في حكم البلاد ، كما انه كان قد اشرك قبل ذلك في السلطة الشيخ ابا عاصم بن سرحان بن محمد بن عميره · ومن المحتمل انه خلال النصف الثاني من القرن السابع/الثالث عشر ، لم تكن هناك نزاعات تذكر حول السلطة · الا انه خلال حكم اولاد الشيخ مانع بن عصفور في النصف الاول من القرن الثامن/الرابع عشر ، انفجرت النزاعات حول السلطة ، فالقلقشندى ينقل لنا عن ابن فضل الله العمرى وصفا لاوضاع بلاد البحرين خلال تلك الفترة ، حيث يقول بان (الامرة فيهم في اولاد مانع الى بقية امراء منهم وكبراء لهم ، وبلادهم ما بين العراق والحجاز ، ولهم قصور مبنية وأطام علية وريف غير متسع ، الى ما لهم من النعم والماشية، والحاشية الفاشية ····) ثم يضيف القول (الا ان الكلمة قد صارت بينهم شتىء ، ولجماعة متفرقة (١٢٦) ثم ان ابن فضل الله العمري يورد لنا قائمة تتضمن اسماء عدد كبير من امراء بني عصفور اضافة الى اسماء امراء لعرب البصرة والبحرين من غير بني عصفور · وقد قسم هؤلاء الامراء الى ثلاث مراتب حسب أهمية نفوذهم السياسي والقبلي · وقد جعل في المرتبة الاولى من هؤلاء الامراء أثنين من اولاد الشيخ مانع بن عصفور ، وهم محمد وحسين · وقد ضمن هذه المرتبة اسماء نرجح ان يكونوا من امراء عرب البصرة ، وهم صدقة بن ابراهيم بن ابي دلف وعلي بن منصور ·

اما المرتبة الثانية ، فقد ورد فيها اثنان من اولاد الشيخ مانع بن راشد وهم بدران وراشد ، اضافة الى مانع بن بدران ، وكلبيبن ماجد بن بدران ومانع بن علي ، كما تضمنت هذه المرتبة اسماء يبدو انها من امراء عرب البصرة والبادية ، وهم رومي بن ابي دلفوزين ابن قاسمويوسف بن قاسم وسعيد بن معدى وعيسى بن عرفه وظالم بن مجاشع واسماعيل بن صوارى· واخيرا تأتي اسماء امراء المرتبة الثالثة ونجد من بينهم عددا من اولاد الشيخ مانع بن عصفور واحفاده وهم زيد بن مانع وحسن بن عظيم بن مانع وهلال بن يحي بن معمر بن مانع وموسى بن ابي الحسين ومحمد بن خليفة · ولقد ورد ضمن قائمة امراء المرتبة الثالثة سعد بن مغامس (١٢٧) وهو من امراء البحرين وسوف نشير الى دورة في الاحداث في حينه ·

يتضح لنا من القائمة السالفة كثرة امراء بني عامر المنحدرين من نسل الشيخ مانع بن عصفور بن راشد وتعدد مراتبهم واهميتهم · الا انه من المؤسف حقا ان ابن فضل الله العمري لم يعطنا تفاصيل اكثر عن مركز كل واحد منهم في السلطة والمناطق التي يسود فيها نفوذه ونوع العلاقات

القائمة بينهم · والواقع فأن عدم وجود المبدأ الوراثي الثابت لتولية المشيخة ربما يكن خلف كثرة امرائهم وتعدد مشاحناتهم · فالأمير في مثل هذه الكيانات يخلفه ابنه وربما عمه او ابن اخيه ، وهذا يعتمد على القابلية الشخصية لكل فرد من افراد البيت الحاكم و على عدد المنضوين تحت لواءه من عشيرته واتباعه · كما ان يمين الولاء الذي يؤديه افراد الاسرة الحاكمه والوجوه والاعيان للحاكم ، ماهو في الواقع الا اتفاق يمكن فسخه ، فليس له من قوة او قدسية · لذا فعلى الحاكم في ظل هذه الظروف السياسية والاجتماعية ان يلجأ الى استخدام الاجراء والعبيد لحراسته لكي يشعر بالأمان اذ انهم اكثر اطاعة له ، فلا ينظرون اليه على انهم على قدم المساواة معه ، مثلما ينظر اليه افراد اسرته وعشيرته الذين يطالبونه باشراكهم في السلطة والسمعة والثروة · فالظروف المشار اليها تدفع الامير اذا لتكوين هذه القوة الخاصة ذات التركيب الاجتماعي المقطوع الجذور او الضعيف الالتصاق بالواقع القبلي السائد ، مما يسهل عليه استخدامها في حفظ الامن وجمع الضرائب فهم خدام الشيخ او رجاله (رجاجيل الشيخ) الذي يحيطون به ويحمونه ·

كما ان لجوء الامراء العصفوريين الى اتخاذ المبان المحصنة مستقرا لهم ولحاشيتهم ـ وان كان ذلك يدل على تحول اجتماعي في حياتهم ـ ما هو في الواقع الا تعبير على عدم شعورهم بالامان من خصومهم السياسيين ،فأحتاطوا لانفسهم بالسكن في القصور والحصون · وهذا ما عبر عنه ابن فضل الله العمري في نصه السابق ، عندما وصف حياتهم بقوله « ··· ولهم قصور مبنية واطام عليه ··· والحاشية الفاشيه ···» ·

والواقع فأن عملية تكوين السلطة السياسية تعتمد على التطور الحاصل في الاداة الوحيدة للقوة ، وهي القوة العسكرية ، ولم تظهر سلطة سياسية بدون ظهور قوة عسكرية الى جانبها · على ان التركيب الاجتماعي للقوة العسكرية ما هو الا نتاج البيئة الاقتصادية والاجتماعية اي المادة البشرية مع بنائها الثقافي وتركيبها الاجتماعي ومفاهيمها ·

على انه يجدر بنا ونحن نستعرض عوامل تفكك السلطة السياسية لامارة العصفوريين ان نشير الى اثر القوة السياسية الخارجية · اذ ان ظهور القوى البحرية التجاريةفي مياه الخليجالعربي كالطيبيين في مقاطعة فارس وجزيرة قيس وكذلك مملكة هرموز ، ربما لعبت ادوارا رئيسة في هذا الخصوص · فالتنافس بين امراء بني عصفور حول السلطة وخشية بعضهم من بعض ربما دفعهم الى التسابق في طلب الدعم الخارجي من هذه القوى التي سوف ترحب

بالتأكيد بمثل هذا الطلب لبسط نفوذها على بلاد البحرين . كما انه لابد ان نشير بان تحكم هذه القوى البحرية في تجارة الخليج العربي هو مصدر تهديد خطر لكيان بلاد البحرين ولازدهار اقتصادها فيما اذا لم يقم حكامهاعلاقة سياسية مع هذه القوى تلك العلاقة التي انتهت في احيان كثيرة الى اخضاع البلاد الى نوع من التبعية الاقتصادية والسياسية . ولعل فيما مر بنا ما يغنى عن اعادة التوضيح .

بقي علينا ان نناقش تأريخ زوال امارة العصفوريين وان نتحدث عن القوى التي تم على يديها ذلك ، والفترة الزمنية لوقوعة .

ان ما نملكه بهذا الخصوص هو نص واحد اورده ابن حجر العسقلاني نستشف منه امورا كثيرة ، فعندما ترجم ابن حجر لابراهيم بن جروان قال عنه (ابراهيم بن ناصر بن جروان المالكي من بني مالك بطن من قريش ، صاحب القطيف ،انتزع جده جروان الملك من سعيد بن مغامس بن سليمان بن رميثه القرمطي في سنة ٧٠٥ ، وحكم في بلاد البحرين كلها ، ثم لما مات قام ولده ناصر مقامه ، ثم قام ابراهيم مقام ابيه ، وكان موجودا في العشرين وثماني مائة ، وهم من كبار الروافض) (١٢٨) .

ان هذا النص لم نعثر على ما يؤيده او ينفيه او يصححه ، وقد أعتمده بعض المعاصرين ممن مروا بتأريخ هذه الفترة مرورا عابرا ، وقبلوه بدون ادنى تمحيص لأفتقارهم الى ادوات تجريحه . على اننا سوف نقف امامه وقفة طويلة ، وسوف ينصب نقدنا اساسا على التواريخ التي تضمنها النص .

على الرغم من ان ابن حجر في هذا النص لايشير بشكل مباشر الى ما يتعلق بأمارة العصفوريين الا انه يفيدنا بهذا الخصوص . فهو يورد بأن جروان قد انتزع بلاد البحرين من سعيد بن مغامس عام ٧٠٥/١٣٠٥ – ١٣٠٦ ، ومعنى ذلك ان سعيد بن مغامس كان قد انتزع تلك البلاد او جزءا منها من العصفوريين . فمن يكن سعيد بن مغامس هذا ؟ يمكن ان نطرح ثلاثة احتمالات بهذا الخصوص ، الاحتمال الاول يستند الى قائمة اسماء امراء بلاد البحرين خلال النصف الاول من القرن الثامن/الرابع عشر التي أوردها ابن فضل اللهالعمرى وذكرناها سابقا ، اذ نجد من بين الاسماء اسم سعد بن مغامس فهل ان سعدا هذا ما هو في الحقيقة الا سعيد بن مغامس بن سليمان بن رميثه الذى أورد ذكره ابن حجر ، او انه اخ له ؟ انه من الصعوبة الاجابة على مثل هذا الاحتمال ... اما الاحتمال الثاني فهو ان يكون سعيد بن مغامس من احفاد شريف مكة ابي نمى ، اذ تشير

مصادرنا الى ان قسما من هؤلاء قد استقروا في العراق ومارسوا نفوذا سياسيا واجتماعيا ودينيا واسعا فيه خلال القرن الثامن/الرابع عشر ، (العهدين الايلخاني والجلايرى) ، ولعل الدور الذي لعبه الشريف احمد بن الشريف رميثه بن ابي نمى في وسط وجنوبي العراق خلال هذه الفترة خير مثال على ذلك • كما انه يرد ذكر اكثر من شخص من احفاده في العراق ممن يحمل اسم مغامس • (١٢٩) والذى يهمنا من بين هؤلاء هو السيد مغامس الذي ذكر ابن عنبه (ت ٨١٢) بأنه من ابناء الشريف رميثه بن ابي نمى (ت٧٤٦) المقيمين في العراق ، وقد يكون السيد مغامس هذا حفيدا للشريف رميثه • ولقد اضاف ابن عنبه قائلا بأن للسيد مغامس عقب (١٣٠) ، ثم سكت دون ان يصرح باسم احد منهم • والسؤال الذى يطرح نفسه هو ، هل ان سعيد بن مغامس الذى ورد ذكره في نص ابن حجر هو من ابناء مغامس المنحدر من الشريف رميثه ؟ واذا كان كذلك فكيف تسنى له ذلك ؟ للأجابة على ذلك هناك احتمالين ، اما ان يكون السيد مغامس او ولده سعيد قد انتقلوا من العراق الى بلاد البحرين فأصبح لهم نفوذا ومنزلة كبيرتين نظرا لانتمائهم العائلي ، الأمر الذى مكنهم من انتزاع السلطة من العصفوريين • او ان سعيد بن مغامس كان قد استعان في الاستيلاء على السلطة في بلاد البحرين ببعض قبائل جنوبي العراق ، وربما قد تم ذلك بتوجيه وتشجيع من الجلايريين الذين لهم الحكم في العراق وايران • الا ان سلطة سعيد بن مغامس بن سليمان بن رميثه هذا لم تدم طويلا لاحتمال ان تكون القوى الخارجية التي استعان بها قد انفضت من حوله نظرا لطبيعتها القبلية ، مما مكن جروان من انتزاع السلطة من يديه بالاستعانه بنفوذه داخل الاحساء •ان مما يعزز هذا الاحتمالفي كون سعيد بن مغامس من ذرية الشريف رميثه هو اولا ان ابن حجر قد وصفه بالقرمطي ولابد ان يكون المقصود بذلك انه شيعي المذهب ، اذ لايوجد للقرامطه في بلاد البحرين من بني عصفور وانه ينتمي الى احدى عشائر بني عقيل التي قبائل جنوبي العراق وخصوصا البصرة وبين قبائل البحرين ، ولعل تعاونهم معا ضد جيوش تيمورلنك عندما غزت البصرة خير شاهد على ذلك ، وقد مر ذكرها • ثالثاهو ما اورده العصامي من وجود اقرباء الشريف مكه في الحسا حتى القرن العاشر / السادس عشر (١٣١) •

اما الاحتمال الثالث ، فهو ان يكون صالح بن جولان الذي سبق وان ذكرنا بأنه قد قاوم جيوش تيمورلنك عند هجومها على البصرة عام ١٣٩٣/٧٩٥ والذي يوصف بأنه صاحب البصرة والبحرين هو الذي انتزع بلاد البحرين من بني عصفور وانه ينتمي الى احدى عشائر بني عقيل التي

تقيم في منطقة البصرة (بنو مالك ، عباده ، خفاجه) او انه من امراء بني عصفور في البحرين وقد مد نفوذه الى البصرة واقام فيها • وعين سعيد بن مغامس نائبا عنه في بلاد البحرين ، وان سعيد هذا قد انتهى بنهاية صالح بن جولان امام يتمورلنك •

او ان يكون سعيد بن مغامس قد استولى على بلاد البحرين منتهـــزأ الهزيمه التي منى بها صالح بن جولان صاحب البصرة والبحرين بعد ذلك امام جيوش تيمورلنك • ان هذا الامر لايتعارض وصلة القرابه التي مـــن المحتمل انها تربط سعيد بن مغامس بشريف مكه رميثه ، كما ان الاحتمال الثالث الذي ذكرناه انفا متداخل مع الاحتمال الثاني •

اما النقطة الاهم في نص ابن حجر فهي التواريخ التي اوردها اذ هي ملفته للنظر وتحتاج الى مناقشه • فالتواريخ الذي اورده ابن حجر كبدايه لقيام حكومة جروان في بلاد البحرين هو عام ٧٠٥/١٣٠٥ ـ ٦ • اما تاريخ بداية حكومة سعيد بن مغامس فكان في مطلع القرن الثامن / الرابع عشـر بحسب ما ذكره الشيخ محمد العبد القادر (١٣٢) • ان التواريخ الانفة الذكر لا يمكن القبول بصحتها للاسباب التالية •

اولا / – ان ابن فضل لله العمري الذي عاش في النصف الاول من الـقرن الثامن / الرابع عشر ، وكان معاصرا لما يرويه قد ذكر بان بلاد البحرين تحكم من قبل اولاد مانع بن عصفور ، وان دارهم الاحساء والقطيف وملح وانطاع والقرعاء واللهابة والجـود ومتالع (١٣٣) •

ثانيا / ـ ان القائمة التي أوردها ابن فضل الله العمرى لامراء بلاد البحرين في النصف الاول من القرن الثامن / الرابع عشر ، صريحة في ان الحكم في تلك البلاد هو بيد اولاد مانع وليس هناك من ذكر لجروان او اولاده

ثالثا / – اذا كان مافترضناه من ان سعد بن مغامس الذي ورد ذكره عند ان فضل الله العمرى ، ما هو الا سعيد بن مغامس بن سليمان بن رميثة الذى ورد في نص ابن حجر فاننا نجد ان اسمه ياتي ضمن امراء المرتبة الثالثة ، ومعنى ذلك انه ذو نفوذ سياسي محدود جدا اذ لايمكن ان يكون حاكم بلاد البحرين ، خلال هذه الفتـــرة ويوضع في هذه المرتبة • اما اذا سلمنا بان سعيدين مغامس ما هو الاحفيد شريف مكة رميثة المتوفيسنة ٧٤٦ /١٣٤٥ـ٤٦ فمـن المستبعد ان يكون الحفيد قد برز الى الوجود في مطلع القـرن الثامن / الرابع عشر

رابعا / ـ ان الاحداث التي وقعت في بلاد البحرين في عهد توران‌شاه وورد ذكرها في الشاهنامه تشير الى ان زعيم بني عصفور في جزيرة البحرين هو الشيخ احمد بن راشد وان حاكم القطيف هو من اقربائه ايضا وهو الشيخ ماجد · وان هذه الوقائع قد حدثت في النصف الثاني من القرن الثامن / الرابع عشر ، وقد حددنا وقوعها بشكل تقريبي في العقد السادس او السابع من ذلك القرن فاين ذكر بني جروان ان كانوا يحكمون جميع بلاد البحرين حسب ما اورده ابن حجر ؟ بل الذي تفيده هذه النصوص التي اشرنا اليها هو ان حكم بني عصفور لا يزال قائماً في بلاد البحرين في هذه الفترة ·

خامسا / ـ ان ابن‌حجر قد حدد بداية قيام حكومة جروان بعام ٧٠٥ وان ولده ناصرا قد اعقبه في الحكم ثم حفيده ابراهيم ، وقد وصف ابن حجر ابراهيم هذا بانه لايزال يحكم في القطيف عام ١٤١٧/٨٢٠ ومعنى ذلك ان ثلاثة حكام منهم قد حكموا بالتعاقب لمدة تزيد على ١١٠ سنوات ، وان ثالث هؤلاء الحكام كان لا يزال يحكم في البلاد في عام٨٢٠/١٤١٧ ،فيكون بذلك معدل حكم كل واحد منهم يقارب الاربعين عاما · الامر الذى يصعب قبوله لانه من الامور القليله الوقوع في مناطق واسعة من العالم ، فكيف الحال في بلاد البحرين التي يكثر فيها الاضطراب ويتدنى فيها المستوى الصحي ·

سادسا / ـ ان ابن‌عنبه ينقل رواية عن استاذه ابن معيه الحسيني (ت٧٧٦) بخصوص اعقاب موسي الجون الذين يقال لهم الاخيضريون ، بقوله انهم في اليمامة بالف فارس وهم مع عامر (١٣٤) · أن تخصيص دخول الاخيضريين مع عامر يدل على ان بني عامر كانوا لا يزالون حتى ذلك التاريخ هم اصحاب الصوله والجوله في بلاد اليمامة ايضا ·

سابعا / ـ سبق ان ذكرنا بان صالح بن جولان الذى قاوم ببسالة هجوم جيش تيمورلنك على البصرة عام ١٣٩٣/٧٩٥ ، وقد وصفته المصادر بانه صاحب البصرة والبحرين ، ومعنى ذلك انه الحاكم فيهما ، ومن بين من ذكر ذلك ابن حجر نفسه ، ومعنى ذلك انه قد ناقض نفسه في نصين مختلفين ، اذ كيف يحكم اولاد جروان بلاد البحرين في الوقت الذي هي تحكم من قبل صالح بن جولان ؟
يتضح مما اوردناه من اعتراضات بانها كافية لتفنيد التاريخ الذي اورده

محمد العبد القادر حول تاريخ استيلاء سعيد بن مغامس على السلطة في بلاد البحرين ، وكذلك ما اورده ابن حجر حول تاريخ قيام حكومة جروان . لذا لا بد ان يكون هذا التاريخ خطأ وقد يكون مصدر هذا الخطأ ان تحريفا او سهوا قد وقع في هذا التاريخ اما في اصل كتاب ابن حجر او في المطبوع منه، وقد يكون هناك رقم قد وقع من الوسط مابين الرقم الاول والثالث وحل محله الصفر. بقي اذا ان نعرف التاريخ التقريبي لزوال حكم العصفوريين من بلاد البحرين. ان اعطاء رقم محدد لذلك ليس بالامر الهين ما دامت مصادرنا ضنينة علينا . والذي نراه ان حكم العصفوريين في بلاد البحرين قد امتد لمدة تقارب من القرن ونصف القرن ، وان زوال حكمهم قد تم في العقد الثامن او التاسع من القرن الثامن/الرابع عشر ، وقد يكون ذلك مرتبطا بالاضطراب الذي عم منطقة الخليج العربي ، والشرق بظهور تيمورلنك. ان تواريخ ٧٧٥ أو ٧٨٥ وحتى ٧٩٠ هي تواريخ مقاربه لذلك . واخيرا ونحن بصدد ذكر امارة جروان من المفيد ان نسجل بعض الملاحظات وهي . . **اولا :** اننا لانرى بأن جروان ينتسب الى بني مالك القرشيين كما ذكر ابن حجر بل الذي نراه هو انهم من بني مالك احد بطول عبد القيس .ويبدوا ان محمد العبد القادر قد حاول ان يصلح الخطأ الذي وقع فيه ابن حجر ، عند ما ذكر بان جروان من بني مالك بن عامر ، وكلا البطنين هم من عبد القيس . ومما هو جدير بالذكر هنا بان ابن مقرب العيوني كان قد ذكر في شعره مرارا اسم ابراهيم بن عبد الله بن جروان معاتبا اياه او مادحا له وكان ابراهيم هذا احد اثرياء الاحساء ووجهائها ومعاصر القيام امارة العصفوريين . فهل ان جروان الذي نجح في تأسيس سلطة سياسيه في بلاد البحرين هو من ذريته ؟ واذا كان كذلك فلابد ان فوزه في السلطة قد تم نتيجة لتحالف بعض البطون والاحياء في ارياف بلاد البحرين وهذا ما المحنا اليه سابقا من ان زعماء السكان المستقرين في الارياف ربما يكون لهم من القوة بحيث يستطيعون فرض سيطرتهم على مناطق واسعة ،وان الاثرياء في بلاد البحرين لهم من النفوذ والاتباع الذين يدينون لهم بالتبعية الاقتصادية ما يقارب نفوذ الشيوخ والحكام .

ثانيا :ــ ان امارة جروان لابد ان تكون قد خضعت هي الاخرى لتبعية مملكة هرموز وان حكمها لم يشمل جزيرة البحرين . فالنصوص التي اوردها السخاوي تشير الى ان فيروز شاه الذي قد انتهى حكمه عام ٨١٩/ ١٤١٧ كان ملكا لهرموز والبحرين والحساء والقطيف .كما ان ولده سيف الدين مهار الذي اعقبه في الحكم وانتهى حكمه عام ٨٤٠/١٤٣٦ ٣٧ قد قال عنه جمفري بأنه كان قد ارسل بالحكام من قبله لكل من القطيف والبحرين .

ثالثا/ – ان بني عصفور خاصة وبني عامر عامة وقد فقدوا سلطتهم السياسية

قد بقوا في بلاد البحرين محتفظين بنفوذهم الاقتصادي الواسع . ولعل فيما ذكره السخاوي عند ترجمته لمحمد بن محمد العمري ، من انه قد غادر الحجاز بعد انتهاء موسم الحج متوجها الى بلاد العجم بصحبة قافلة بني عقيل سنة ٨٢٣/١٤٢٠ ، (١٣٥) يمكن اعتبارها دليلا مهما على استمرار النشاط الاقتصادي لبني عامر ـ الذين كثير ما يطلق عليهم بنو عقيل ـ وعلى انهم لايزالون يتمتعون بهيبه واحترام في جزيرة العرب ، خاصة ونحن نعرف الاهمية التجارية لقافلة الحج وبأن من يتولى قيادتها لابد ان يكون قادرا على حمايتها . ومن المحتمل انهم دفعوا ثمنا لبقائهم بنقل ولائهم وقوتهم العسكرية الى خدمة القوة الجديدة ، متحينين الفرصة المناسبة لاسترجاع مكانتهم السابقة . وقد تم لهم ذلك اخيرا على يد احدى افخاذهم وهم بنو جبر اللذين استرجعوا سلطة بني عامر على بلاد البحرين في حدود منتصف القرن التاسع /الخامس عشر .

الهوامش

★ يقر كاتب البحث بانــه مدين بالشكر العميق للزميلين الاستــاذ اسعد الكبيسي والدكتورمحمد وصفي ابومغلي مدرسي اللغةالفارسية في جامعة البصرة لما قدماه له من مساعدة في قراءة النصــوص الفارسية وترجمتها • اما النصوص الفرنسيــة والالمانيــة فقد تفضل مشكورا الصديق الدكتور وست T-West مدرس الادب الاوربي المقارن فيجامعة ايست انجليا بترجمتها الىاللغة الانكليزية بناء على طلب الكاتب • • •

١) تحفة الالباب في تاريخ الاحساء ، **مجلة العرب ج ٥ـ٦** (١٩٧٥) ص ٤٤٠ـ٧٢ خصوصا ص ٤٧١ •

٢) احمد مصطفــى ابو حاكمــة ، صفحات مطويــة من تاريــخ الخليــج والجزيرة العربية ، **مجلة الدوحة** مارت١٩٧٦ ص ٨٠ ـ ٨١ •

٣) كمثال على ما كتب بشكل متحيز ويتجاهل دور العرب في تاريخ الخليج العربي راجع عباس اقبال **مطالعاتي درباب بحريــن وجزاير وسواحل خليج فارس** ، طهران ١٣٢٨ شمسيوقد كتب هذا البحث بطلب من الخارجية الايرانية ونشر بامر منهــا •

٤)
J. H. Stevens. Man and Environments in Eastern Saudi Arabia Arabian studies, I London (1974) 137-8 ed. R. B. Serjeant & R. I Bidwell

٥) حول اهمية سفن العرب الشراعية ودورها في حياة عربي الخليــج راجــع •

H. Yajima. **The Arab Dhow Trade in the Indian Ocean,** (Tokyo, 1976).

٦)
J. B. Kelley "Sovereignty and Jurisdication in Eastern Arabia, **International Affairs** Vol. 34, I. 1959 PP. 16-24 esp. 17.

وللاطلاع على اثر القيم القبلية في قيام الكيانات السياســية في شرق الجزيرة العربية انظر •

P. Lienbardt. The Authority of Shaykhs in the Gulf **Arabian Studies,** II, (London 1975), 61-75

٧) M. B. Rowton. Autonomy and Nomadism in Western Asia **Orientalia,** Vol. 42, Nova Series Fasc. 1. 2, Rome 1973) PP. 247-58 esp. 253-4.

لمن يريد من الباحثين ان يتعرف على الدراسات الاخرى لروتون عن القبائل ودورها في تاريخ العراق والبحرين منذ القدم حتى العصر الحديث عليه مراجعة الابحاث التالية لنفس الكاتب ٠

Urban Autonomy In a Nomadic Environment, J. of Near Eastern Sts. No. 1 and 2 (1973) pp. 200-15, Enclosed Nomadism, **JESHO,** Vol. x 111/1, PP.1-30.

٨) حول عقيلوبطونها ومواطن سكناها راجع الحسن بن عبدالله الاصفهاني (ت حوالي ٣١٠) ، **بلاد العرب ،** تحقيق حمد الجاسروصالح احمد العلي ، (الرياض ، ١٩٦٨) ، ٣ ـ ١١ ، ابن حزم (ت ٤٥٦) **جمهرة انساب العرب** (القاهرة ١٩٦٢) ، ٢٩٠ـ٩٢ ، ٧٨٢ ، وابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون جـ ٢ (بيروت ١٩٦٦) ، ٦٤٧ـ٤٩ ، جـ ٦ (بيروت ١٩٦٨) ، ٢٤ـ٢٥ ، القلقشندي ، **نهاية الأدب في معرفة انساب العرب** (القاهرة ١٩٥٩) ، ٧٥ ، ١٠٦ ، ٢٤٦ ، ٣٣٠ ، ٣٦٦٠ نظرا لكثرة الاخطاء في هذه الطبعة يستحسن مقارنتها بالنسخة المطبوعة في بغداد عام ١٩٥٨ بتحقيقعلى الخاقاني ٠ راجعايضا لنفس المؤلف **صبح الاعشى** (القاهرة ١٩١٤) ، ٤/٢٠٤ ٠

قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان (القاهرة ١٩٦٣) ٧٦ـ ٧٧ ، ١١٩ـ٢١، عبدالستار الحسني نظرات في نهاية الأرب للقلقشندي، **مجلة البلاغ** ، ٦/٢ (١٩٧٦) ٦٣٠ـ٧١ ، خاشع المعاضيدي ، **دولة بني عقيل في الوصل** (بغداد ، ١٩٦٨) ، ٢٧ـ٣٠ ٠

H. C. Kay, Notes on the History of the Banu Okayl, JAS Vol. XVIII, 1886, PP. 491-526.

لقد اعتمد كي في بحثه علىابن خلدون بشكل رئيسي

(٩) الاصفهاني، **بلاد العرب** ، ٣ـ١١ ٠

G. Rentz, art. " Katif ", EI²

١٠ الهمداني (ت ٣٣٤/٩٤٥ ـ ٤٦) **صفة جزيرة العرب** ، (القاهرة ١٣٧٣/١٩٥٣) ، ١٣٦ـ٣٧ ، ١٦٩ وكذلك انظر عبد الرحمن عبدالكريم النجم ٠ **البحرين في صدر الاسلام** (بغداد ١٩٧٣) ، ٤١ـ٤٤

١١) ابن الاثير ، الكامل (القاهرة ١٣٥٣) ٩٣/٦ ، تاريخ **ابن خلدون ،**

٤/١٩٥ ، ٦/٢٨ ، ٦٣ : ثابت بن سنان ، **تاريخ اخبــار القرامطة** ، بيروت ، ١٩٧١ ، ١٤ ، ٧١ ، ١١٠ ٠

١٢) حول هجمات قرامطة البحرين هذه ، راجع **ابن الاثير** حـ٦ ، جـ٧ ، **ابن خلدون** ٤/١٨٨ـ٩٤ ٠

١٣)انظر على سبيل المثال **ابن خلدون** ٦/٢٥ ، عبد الجبار ناجي ، **الأمــارة المزيدية** (البصرة ١٩٧٠ ٣٥ـ٤٢ ، الدكتور جعفر خصباك ، **العراق في عهد المغول الايلخانيين** ، بغداد ١٩٦٨) ١٧٣ـ١٧٧ ، يذكــر **ابن الاثير** ٧/١٢٣ ، انه في سنة ٣٧٤ تقلد ابو طريف عليان بن ثمال الخفاجي حماية الكوفة وهي اول امارة بني ثمال ٠

١٤) ابنن الاثير ٧/١٣٦ ، ١٦٥ ، ١٧٥ ، ٢٢٤ (في حوادث ٣٧٨و٣٨٤ ، **٣٨٥ ، ٣٩٤)** : ابن الجوزي ، المنتظم ٧/١٧٤ ،

١٥) **تاريخ ابن خلدون** ٢/٦٤٧ ـ ٤٨ ، ٦/٢٤ ـ ٢٥ ٠

١٦) نفس المصدر ٦/٢٨ ٠

١٧) ابن خلدون ٦/٢٤ ـ ٢٥ ، ٦٣ ٠

١٨) يرد هذا الاسم في **تاريــخ ابن خلدون** بصور ثــلاث ، فتارة بني ابي الحسن (٢/٦٤٨) وتارة ابي الحسين الاصغر بــن تغلب (٦/٢٥) واخرى بنو الاصغر بن تغلب (٦/١٤٢) ، وكذلك **قلائد الجمان** ، ١٢٠ ٠ ولاشك ان المقصود بهذا هو الاسرة العيونية التي تنحدر من احد بطون عبد القيس اى ابناء محمد بن ابي الحسين بن عبدالله علي العيوني ٠ كما انه من المحتمل ان بني الحسن ربما قصد بهم اولاد ابي الحسن علي بن مسمار زعيم عبدالقيس الذى انتزع منه القرامطة القطيف ٠ الا ان هذا الاحتمال الاخير ضعيف ، انظر محمد عبدالله العبد القادر ، **تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم** ، (الرياض ١٩٦٠) ١/٢٥٦ ، **صفة جزيرة العرب** ، ١٣٦ ٠ امــا اطــلاق اسم بنــو الأصغر بــن تغلب فهــو نــوع مــن التخليــط ، اذ لانعـــرف ظهور اسرة بالبحرين بهذا الاسم وكل ما نعرفه استنادا الى ماذكره ابن الاثير ، بان زعيم المنتفق المسمى الاصغر قــد قــام بمهاجمــة البحرين عام ٣٧٨/٩٨٨ ونهب القطيف ونظرا لانتشار بني المنتفــق مابين البصرة والبحرين وغموض تاريخ البحرين حدث هذا التداخل في الاسماء والاحداث ٠ راجع **الكامل حـ** ٧ (القاهرة ١٣٥٣) ١٣٩٠ اما الاصفر التغلبي الذي ذكره ابن الاثير في حوادث عام ٤٣٩ في

رأس العين ، وجمع حوله اتباع كثيرين وادعى بأنه مرسل ، فقد تم انهاء حركته هذاوقد ذكره ابن خلدون ايضا ١٩٦/٤ فلا نرى له اية صله بالبحرين ٠

١٩) **تاريخ ابن خلدون** ٢٤/٦ ـ ٢٥ ، ٦٣ ٠

٢٠) انظر **قلائد الجمان** ، ١٢١ ٠

٢١) ابن خلدون ، **تاريخ ابن خلدون** (بيروت ١٩٦٨) ١٩٥/٤ ـ ٩٦ ، القلقشندي ، **نهاية الأرب** ٩٦٦ ، قارنذلك مع ما ورد في طبعة بغداد ، ٣٣٨ ، انظر ايضا القلقشندي ، **قلائد الجمان** ، ١١٩ ـ ١٢٠ ٠

٢٢) ابن خلدون ١٩٥/٤ ٠

٢٣) ابن الاثير ٧/ ١٣٦ : قارن ذلك بما جاء في ابن الجوزي ، المنتظم ١٧٠/٧ ٠

٢٤) ن ٠ م ٣٢٥/٦ ، ٣٤٠ :ابن مسكويه ، (ت ٤٢١/ ، تجارب الامم، (القاهرة ، ١٩١٥) حـ ١١٢/٢ ، ١٤٤ ابن الجوزي ، المنتظم ٣٦٨/٦ ٠
(   )

٢٥) ن ٠ م راجع ٦٥/٧ (حوادث ٣٨٤) ، ١٧٥ (حوادث ٣٨٥) ٢٢٤ (حوادث ٣٩٤) هذا وقد توفي الأصفر او الأصيفر المنتفقي عام ١٤٠٩ او عام ٤١٠ انظر **الكامل** ٣٠٣ : تاريخ هلال الصابي ،ذيل على تجارب الامم (القاهرة ، ١٩١٩) هامش ٣ ، ص ٤٠٩ ٠

٢٦) **سفرنامة** (بيروت ٩٧٠) ، ١٤٥ ترجمة يحي الخشاب ٠

٢٧) محمد بن خليفة النبهاني ، **التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية** (القاهرة ١٣٤٢ ط ٢) ٩٣ ـ ٩٤ كذلك انظر ، **تحفة المستفيد** ٠

٢٨) **التحفة النبهانية** ، ٩٤ ـ ٩٥ ، **تحفة المستفيد** ، ٩٨/١ ـ ١٠٠ ، ٢٥٤ ٠

٢٩)
J. M. de Goeje, **Lafin de** Empire des Carmathes dus Bahrain, **J. A.** 1895, lx Serie, 1-30 Quoted in Caskel, **Eine** Unbekannte Dynastie in Arabien" **Oriens,** 2, 1949, 66-71, eap. 70.

ومما هو جدير بالذكر هنا ان عبدالفتاح الحلو الذى خفق ديوان

ابن المقرب لم يطلع عند تحقيقه الديوان على مخطوطة دى غويه او على بحثه المذكور اعلاه • رحول نظام الحماية راجع •
CL. Cahen, art, "Himaya", EI[2]

٣٠) **التحفة النبهانية** ، ٩٦ ـ ٩٨ ، **تحفة المستفيد** ، ١/٩٨ ـ ١٠٠ ، **٢٥٩ ـ ٢٦٠** وحميد بن رزيق ، **الفتح المبين** ، (القاهرة ١٩٧٧) ٢٣٨ ـ ٣٩ •

٣١) ن • م وكذلك **تحفةالمستفيد** ١/١٠١ ، ١٦١ ديوان **ابـن المقـرب** (القاهـرة ١٩٦٣) هامش ص ٥٣٣ •

٣٢) المصدر السابق (القاهرة ، مطبعة الاستقامـة ، ب • ت) ٨/١٥٣ ومما هو جدير بالذكر هنا ان ابن الاثير قال بان الرجل الذى حرض زعيم بني عامر على مهاجمة البصرة قال له فيما قال (لقـد فعـل اجدادك بالحاج كذا وكذا وافعالهم مشهورة مذكورة في التواريـخ• ان هذا لدليل على ان بني عامر في ظـل القرامطة كانوا يقومون بهذا العمل راجـع ايضا الذهبي/**دول الاسلام** (القاهـرة ١٩٧٤) ٢/١١ •

ومماهو جدير بالذكر ان البرفسور بوزورثقد وصف هؤلاء المهاجمين بأنهم قرامطة البحرين ، وهذا مالم يقله ابـن الاثير الذي كان مصدره في هذه الواقعة ، اذ ان القرامطة قـد انتهى امرهم في تلك الجهات قبل هـذا التاريخ • اما اذا كان بوزورث قد قصد بأنهم كانوا على مذهب القرامطـة

فهو امر يصعب قبوله ايضا • راجـع •
C. E. Bosworth "The political dynastic history of the Iranians World, 1000-1217" PP. 1-202, esp. 99.
in **the Cambridge History of Iran,** Vol. 5. Cambridge, 1968

٣٣) جزيرة العرب في نزهة المشتاق تحقيق ابراهيم شوكة ، م • **المجمـع العلمي العـراقي** م/٢١/١٩٧١ ص ٥٠ •

٣٤) **ديوان ابـن المقرب** ، ٦٤٦ ـ ٤٧ •

٣٥) **ديوان ابن المقرب** ، ١١١ ـ ١١٢ ، هامشـ ص ٥٤٦ ـ ٤٧ انظـر كذلك • Caskel, Op. Cit. 70.

٣٦) **تاريخ ابن خلدون** ٣/ ٥٣٠ الكامل ، ٩/٢١٩: تحفة المستفيد ،١٠٤

٣٧)
Quoted in M. B. Rowton, The Role of water Courses in the Grouth of Mesopotamain Civilization, **Alter Orient und Altes Testament.** Bd. 7. 1969, 307-16.

٣٨) **ديوان ابـن المقـرب** ، ٢٠٢ ٠

٣٩) **تحفـة المستفيد** ٢٦٨

٤٠) نفس المصدر ١٠٧ ، ٢٦٩ ٠

٤١) ن ٠ م ٠ ، ١٠٧ ـ ٨ ، ٢٥٢ ، ٢٦٩ ٠

٤٢) **ديوان ابـن المقـرب** ٤٥٦ ـ ٤٦٥ ٠

٤٣) **ديوان ابـن المقرب** ٦٣٨ ـ ٣٩ : **تحفـة المستفيد** ، ٣١٣ ٠

٤٤) الكثيب طرف الاحساء الجنوبي ، والعيـون طرفهـا الشمالي ٠ ، المحاديث من ارض العيون وحلـوان مكان بين الاحساء والقطيف ٠

٤٥) الخط ٠ هي القطيف ٠ صفوان طرفها الشمالي ٠ ، الظهران طرفها الجنوبـي ٠

٤٦) وامض شيء ، اوجمه ٠ المروزان وكرزكان قريتان في جزيرة اوال ٠

٤٧ **التحفة النبهانية، ٩٨ ، ديوان ابن المقرب، ٥٠٥** وللاطلاع على تفصيل اكثر راجع تحفة المستفيد ١٠١/١ ، ١٠٨ ـ ٩ ، ٢٥٣ ٠

٤٨) **صفـة بلاد اليمـن** او تاريخ المستبصر ، ٣٠١ ٠

٤٩) **تحفة المستفيد** ١١٢ ـ ١١٤ ٠ **ديوان ابن المقرب** ٦٣١ ـ ٦٤١ ٠

٥٠) **تحفة المستفيد ١١٣** ، ١١٦ ـ ١٨ ، ٢٥٣ ٠

٥١) ن ٠ م ٠ ١١٨ ٠

٥٢ حول هذا المخطوط انظر **تحفة المستفيد** ملحق رقم ٣ ، ٢٥٠ ـ ٥٤ ٠ خصوصا صفحة ٢٥٣ ٠

٥٣) ابن المجاور ، **صفة بلاد اليمن او تاريخ المستبصر** ، (ليدن ١٩٥١) ص ٢٨٨ ٠

٥٤) حول حياة منجم باشي ومؤلفاته راجع ٠
S. A. Hasan, Munejjim Bashi, Turkish Historian of the Sljugids of Iran, Islamic Studies, Vol. 2, (1963) PP. 457-66.

٥٥) احمد افندى الملقب منجم باشيء ، جامع الدول (مخطوط) ، ٤١٨ ، (المكتبة السليمانيــة) ، مجموعة اســعد افندى الرقم ٢١٠١)ـ الورقة ٦٤٧ ٠

٥٦) **تحفة المستفيد** (ملحق ٣) ٣٥٣ ٠

٥٧) وصاف الحضرة عبدالله بن فضل الله الشيرازى ، **تاريخ وصاف المسمى تجزية الامصار وتزجية الاعصار** (بوبي ١٢٦٩) اعيد طبعه في طهران ١٣٣٨) جلددوم ، ١٧٩ ٠

٥٨) ابي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي ـ **كتاب الجغرافيــا** ـ (بيروت ، ١٩٧٠ ، ١٨ـ١٣١ ٠

٥٩) **تاريخ ابن خلدون** ١٩٦/٤ـ٩٧ ،**قلائــد الجمــان ، ٢٠** ، نهاية الأرب ١٠٦ ٠

٦٠) **صبح الاعشى** (القاهرة ١٩١٥) ٦٠/٥ ٠

٦١) تاريخ ابن خلدون ٦٤٨/٢ـ٤٩ ، ٢٥/٦ ، قلائد الجمان ،١٢١: نهاية الأرب ، ٣٣ ٠

٦٢) المصدر السابق ٢٥/٦ ٠

* لقد استعمل الشيخ النبهاني تسمة الزنجيين لاتابكــة فارس بدلا مــن الاسم الشائع في المصادر التأريخية وهــو السلغريون نسبــة لجدهم سلغر التركماني الذى كان حاجبا لسلطان السلاجقة في العراق طغرل الاول ٠ ولقد تابع النبهاني في تسميته هذه من نقل عنه دون ادنى تمحيص ٠ بل ان هذه التسمية قد ادت بالبعض من هؤلاء الى الوقوع في خطاء شنيع ، اذ تصوروا ان السلغريين هم من الزنج الذين كانوا قد ثاروا في جنوب العراق وحكموا البصــرة في النصف الثاني من القــرن الثالث / القرن التاســع ٠

٦٣) **تحفة المستفيد** (ملحق ٣) ٢٥٣ ، وصاف ، جلد اول ١٧٦ـ٧٧ قاضي احمد غفاري قزويني ، **تاريخ جهان ارا** (تهران ١٣٤٣ شمسي) ، ١٢٦ـ٢٧ ٠ ومن الجدير بالذكر ان القاضي غفاري قد ذكر اســم جمشيد كأخرى ملوك بني قيصر وتابعه في ذلك منجم باشيء الورقــة ٦٤٦ ، وهذا يخالف ماذكره **وصاف الحضرة** الذى لمعلوماته عن بني قيصر اهمية خاصــة ٠ لذا رجحنا روايته : عباســ اقبال ، المصــدر السابق ، ٣٣ انظر ايضا

Jean Aubin, Les Princes D' Ormuz Du XIII' Au XV' Siecle, Journal Asiatique, Vol. 241 (1953), PP. 77-137, esp. 81.

٦٤) **تحفة المستفيد** ، ٢٥٣ ومن الجدير بالذكر هنا ان اسم امير هرموز

يرد في المصادر بصورة متعددة فتارة سيف الدين ابو المظفر وتارة ابو نصر وتارة اخرى ابو النظر او ابو النضر .

٦٥ اثار البلاد (بيروت ١٩٦٩) ٢٤٣ ،**تاريخ جهان ارا** ١٢٦ـ٢٧ ، **جامع الدول** ، ورقة ٦٤٦ ب ـ ٦٤٧ ـ عباس اقبال ٣٣ـ٣٤ .
Aubin, Op. Cit. 18

ومما هو جدير بالذكر هنا انه في عام ٦٣٢/١٢٣٤ـ٣٥ ، كان قد وصل بغداد كل من امير البحرين محمد بن محمد عن طريق البر ، وامير هرموز (ابو النظر)عن طريق نهر دجـلة ومعهم عدد كبير من الاتباع . ولابد ان يكون حضورهما لغرض الحصول على الدعم المادي والادبي من الخليفة المستنصر ضد الاتابك ابو بكر السلغري وضد العصفوريين راجع ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، القاهرة ١٣٢٩ . مجلد ٤ ص ٤١ .

٦٦ **تحفة المستفيد** ٢٥٣ـ٢٥٤

٦٧) **تحفة المستفيد**٣٥٤ ،**وصاف** ،جلد دوم ١٧٩ ،عباس اقبال٣٤ـ٣٥، **التحفة النبهانية** ، ٩٩ـ١٠٠راجع ايضا
Rentz & Mulligan, art, "al-Bahrayn", EI[2], Aubin, Op. Cit, 81.

٦٨) وصاف ، ١٧٩ .

٦٩) Ata-Malik Juvaini, **The history of the World Conqueror,** Translated by J.A. Boyle (Manchester 1958), Vol. 1, 234,

وايضا ، منجم باشيء المصدر السابق ورقة ٦٤٧

٧٠) **وصاف** ، جلددوم ،١٧٩ .

٧١) وصاف ، جلددوم ،١٧٩ ،**تاريخ جهان ارا** ،١٢٦ـ٢٧ **جامع الدول** ، ورقـة ٦٤٦ ـ ٤٧ ، عباس اقبال ، ٣٥ . لقد ذكر رنز بان عـام ٦٥١/١٢٥٣ هو تأريخ انسحاب السلغريين من جزيـرة البحـرين واستقلال العصفوريين بها وهو بذلك يكون قـد اعتمد على ماروا‌ه ابن سعيد المغربي . راجع . art, "al-Bahrayan" EI[2]

٧٢) راجع رواية ابن خلدون في السابقة .

٧٣) حمد الله مستوفي قزويني ، **تاريـخ كزيـده** نشرة براون (لنـدن ١٩١٠) ، ٥٠٧ ، حاجي خليفة (كاتب جلبي) **فذلكه اقوال الاخبـار في علم التاريخ والاخبار** . مكتبة بايزيد، مخطوط رقـم (١٠٣١٨) ورقـة ١٣٨ .

٧٤) حول النقود في الخليج العربي ، في العصر الوسيط راجع :
Nicholas M. Lowick, Trade Patterns on the
Persian Gulf in the light of Recent Coin Evidence" In **Near Eastern Numismatic, Iconography, Epigraphy and History**, ed Dickrank Kouy mijian—319-33, (Beirut, 1974.)

٧٥) للاطلاع على الدراسات الحديثة المتعلقة بأل فضل ·
د· جعفر خصباك ، المصدر السابق ، ١٦٨ــ٧٧ ، د· محمد صالح القزاز ، **الحياة السياسيه في العراق في عهد السيطرة المغولية** (النجف ١٩٧٠) ، ٣٢٦ــ٤٣ ، د· مصطفى العياري ، **الامارة الطائية في بلاد الشام** (عمان ، ١٩٧٧ ·) ، واخيراً فايد حمادي عاشور ، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الاولى (القاهرة ١٩٧٦) ·

٧٦) نهاية الأرب ، ١٠٦ ·

٧٧) محي الدين بن عبدالظاهر (ت ٦٩٢/١٢٩٣) **تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور** (القاهرة ١٩٦١) ، ١١١ ·

٧٨) Yajima, **The Arab Dhaw Trade,** 12.

٧٩) Pani-nan Rashid Wa,
The Fall of Baghdad and the Mongol Rule in Al-Iraq, 1258-1335 Unpublished Disscrtation for Ph. D. Univ. of Utah, 1974, 133-34.

لقد اعتمد المؤلف الصيني رشيد وو كثيرا على كتاب الاستاذ جعفر خصباك ونقل عنه معظم افكاره وسايره في تبويب اطروحته · الا انه مما يميز هذه الاطروحة ان المؤلف قد استعمل المصادر الصينية في كتابة تاريخ العراق واثار قضايا كثيرة كانت لحد الان من القضايا المسلم بها · وقد رفض الفكرة القائلة بان المغول قد دمروا الاقتصاد العراقي وموارده ومنها مشاريع الري والتجارة الخارجية · وفي مكتبتي نسخة مصورة من هذه الاطروحة ·

٨٠) لمقريزي (ت ٨٤٥/١٤٤١) **السلوك في معرفة دول الملوك** (القاهرة ، ١٩٦٨) ، ٧٤٢/١
Subhi Labib "Egyption Commercial Policy In the Middle Age" In **Studies in the Economic History of the Middle East,** ed. M. A. Cook, (London, 1970), 63-77, esp. 69.

٨١) ابو الفدا ، **المختصر في اخبار البشر** ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ٨١/٤ وابن عنبــــة ، **عمـــدة الطالب في انســابابي طالب** ، النجف ١٩٦١، ، ١٤٣ ــ ٤٤ المقريــزي ، **السلوك** ، القاهــرة ، ١٩٤٢ ، ٥٣٣/٢ ٠

٨٢) **المختصر في اخبار البشر** ، ٨٣/٤ ــ ٤ ٠

٨٣) المقريزي ، **السلوك** ، ٢١٤/١ ــ ١٥ ٠

٨٤) عن القلقشندي ، **نهاية الأرب** ، ١٠٦ ، **تحفة المستفيد** ، ١١٩ ٠ ومن الجدير بالذكر هنا ان السيد نوري عبد الحميد العــاني قــد خلط بين زعيم المنتفق مانع بن شبيب وبين زعيم بني عامر مانع بن عصفور لذا فقد فسر **قول** العمري « بان الامــره في اولاد مانـــع على ان المقصود به مانع شيخ المنتفق وبانه اشــارة الى حكام البصرة وهــذا خطــأ واضح ٠ راجع **العراق في العهد الجلايري** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٧٦ ٠

٨٥) ابن حجر العسقلاني ، **الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة** القاهــرة ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٨/٥ ٠

٨٦) ن ٠ م ٠ القاهرة ، ١٩٦٦ ، ٣٥٤/٣ ٠

٨٧) المهمنــداد ، كلمـــة فارسية الاصل تتكون من مقطعين الاول مهمن ومعناها الضيف، والثاني دار وتعني الشخص الذي يستقبل الضيف٠

٨٨) راجع حول ذلك ، **صبح الاعشى** ، القاهرة ، ١٩١٥ ، ٤٤٧/٥ ــ ٤٨، ٣٧٠/٧ ــ ٧١ ٠

٨٩) الذهبي والحسيني ، من **ذيول العبر** ، (الكويت ، ١٩٧٠) ، ٣٠٢ وكذلك راجع عباس العزاوي ، **تاريخ العـــراق بين احتلالين** ، ج ٣ الملحق ص ٣٩ ، والعزاوي ينقل ما اورده، عن ابن قاضي شهبه٠

٩٠) تــور انشاه توفي مــابين عــام ١٣٧٠/٧٧٢ وعـــام ١٣٧٧/٧٧٩ وكان قــد تولى الحكم عام ١٣٤٧/٧٤٧ ويــرى اوبين انــه الــف كتابه « **الشاهنامة** » بعد عام ١٣٥٠/٧٥١ ٠ هذا وقد قام الرحالــة البرتغالي الشهير تكسيرا بترجمته باختصار الى البرتغالية في النصف الاول من القرن السابع عشر وعن هذه الترجمة قام وليــم سنكليبر بترجمته مع رحلة تكسيرا الى اللغة الانكليزية وجعـــل الشاهنامة ملحا للرحلة وعلى هذه الترجمة كان اعتمادنا وقد اشرنا اليها تحت

تكسيرا . وعنوان الرحلة مع الشاهنامة **هي** :ـ

The Travels of Pedro Teixira, with "His Kings of Harmuz" Translated by W. F. Sinclair, (London, 1902).

٩١)حميد بن رزيق (١٢٩١/١٨٧٤) ، **الفتح المبيين في سيرة السادة البو سعيديين** ، تحقيق عبد المنعم عامر ومحمد مرسى . (منشورات وزارة التراث القومي العماني) ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ٢٤٧ ـ ٤٨ .

٩٢) J. C. Wilkinson, art, "Kathat" EI[2]

٩٣) لعل عبارة تزوين الواردة في النص ماهي الا تحريف لاسم جزيرة تاروت او دارين اذ لايوجد في ساحل الخليج العربي مكان باسم تزوين .

٩٤) محمد بن علي الشبانكاري ، **مقتطفات من مجمع الانساب المتعلقةبهرموز** نشرة اوبين لمكحق لبحثه باللغة الفرنسية ، الذي سبق وان اشرنا اليه مرارا راجع Aubin, 129-37, esp. 130 معين الدين نطنزي . **منتخب التواريخ معينـي** ، تحقيق اوبين تهـران ، ١٣٣٥ شمسي) ١١ ـ ١٢ .

٩٥) Aubin, 85. عباس اقبال ، ٣٦ .

٩٦) **التحفة النبهانية** ، ١٠٠ـ١٠١ .

٩٧) علي بن الحسن الخزرجي ،العقـود اللؤلؤيـة في تاريـخ الدولة **الرسولية** ، القاهرة ، ١٩١٤ . ١/٢١١ـ١٣

٩٨) للاطلاع على ترجمة مقتضبـة عن حياتة انظر ، الذهبي ، **من ذيول العبر للذهبي والحسيني** . الكويت ،١٩٧٠، ٣٥ (حوادث ٧٠٦) ايضا انظر ، ابن حجر العسقلاني ، **الدور الكامنة في اعيان المئة الثامنة** ، القاهرة ، ١٩٦٦، ط ٢ ج ٢ ، ٦١ .

٩٩) وصاف ، ٢٦٨ ، عباس اقبال ، ٣٧ ; Aubin, Op. Cit, 89-90

١٠٠) للأطـلاع على عـرض شامل لتطـور انواع الاقطـاع في العصور الاسلامية المختلفة ، راجع البحث القيم لكاهين .
CL. Cahen, art, **"Ikta"** EI[2]

١٠١) وصاف ، ٣٣١ ـ ٣٢ Aubin, 93

١٠٢) وصاف ، ٣٠٢ ـ ٣٠٣ Aubin, 90

١٠٣) **Aubin, 97**

١٠٤) **مجمع الانساب ، ١٣٣** Aubin, 100

١٠٥) **مجمع الانساب** ، ١٣٣ ، **منتخب التواريخ معيني** ، ١٥ ـ ١٦
Aubin, 101-2. Teixira, 167-71

١٠٦) **مجمــع الانساب** ، ١٣٤ ـ ٣٦ ، **منتخب التواريخ معيني** ، ١٦ ـ ١٧
عباس اقبــال ٤٢ ٠
B-Spuler, Die Mongolin in Iran, (Berlin, 1955), 151 ; Teixeira, 173-81

١٠٧) رحلة ابن بطوطة ، (القاهرة ، ١٩٦٤) ، ١/١٤٦ ٠

١٠٨) Hamd-allh, Mustawfi of Qazwin, The Geographical part of the Nuzhat-al-Qulub, Translated by G. Le Strange, (Leyden, 1919), 135.

١٠٩) **صبح الاعشى** ، القاهرة ، ١٩١٥ ، ٧/٣٧٠ ٠

١١٠) G. Rentz, art, "al-Katif" EI[2]. ٠ قارن ذلك بما ذكرة ابن بطوطة في رحلته ، ١/١٧٧

١١١) N. M. Lowick, Op. Cit, 324-30.

١١٢) عباس اقبال ، ٤٢ ـ ٤٤ ، Spuler, Op. Cit, 151-52. Teixeira, 181-85 ;

١١٣) **رحلة ابن بطوطة** ، ١/١٧٤ ـ ٧٥ ٠

١١٤) عن القلقشندى ، **صبح الاعشى** ، ٧/٣٧١ ٠

١١٥) Aubin, 109 ; Spuler, 152 ; Teixeira, 186-82, 265. عباس اقبال ٤٤ ـ ٤٥ .

١١٦) **منتخب التواريخ معيني** ، ١٨ ٠ مما هو جدير بالذكر هنـا ان نطنزي ينفرد بذكر اسم يوسف شاه بدلا من تورانشاه ، حيث لا يشير الى هذا الاسم ٠ وربما يكون قد اخطأ في ذلك او انه احـــد الاسماء المعروف بها تورانشاه هــو يوسف شاه ٠ راجـــع ايضا ٠ **جامع الدول** ، ٢/٤٠٢ ـ ٤٠٤ (م ٠ بايزيد) ٠

١١٧) **التحفة النبهانية** ، ١٠١ ـ ١٠٣ ; Teixeira, 188

١١٨) نظام الدين شامي ـ ظفر نامه مع اضافات وشروح من كتاب **زبدة التواريخ بايسنقري لحافظ ابرو** ، تحقيق فلكس تاور ،بيروت ١٩٣٧ ، جلداول ، ١٦٨ ، شرف الين علي يزدى ، **ظفر نامه** ، تهران ، ب٠ ت ، جلداول ، ٥٧٧ ـ ٧٨ ٠ منتخب التواريخ معيني ، ١٩ ، **جامع الدول** ، ٤٠٤ ٠ **راجع ايضا Aubin, 111-14**

١١٩) لقد اختلفت المصادر كثيرا في رسم الاسم الثلاثي **لصالح** فورد بالاشكال التالية ابن حيلان او حولان او جولان واخيرا ابن صيلان٠ ولقد فضلنا استعمال اسم جولان لاعتقادنا بان ذلك ليس اسم لوالده او لقب حقيقي له وانما هو وصف فارسي له مصدره كلمة جول الفارسية التي تعني الصحراء فقيل له جولان اى البدوي ٠

١٢٠) ابن الفرات (ت ١٤٠٤/٨٠٧) ، **تاريخ ابن الفرات** ، تحقيق قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين بيروت ١٩٣٨ ، م٩ ج ٢ ، ٣٤٧ ـ ٤٨ ٠ ابن حجر العسقلاني ، انباء الغمر ، القاهرة ١٩٦٩، ٤٥٣/١ ، وابن صصري ، كتاب الدره المضيئة في الدولة الظاهرية ، تحقيق وليم م٠ بريز ، بركلي ـ كاليفورنيا ، ١٩٦٣ ، ٨٧١/٢ ، الصيرفي ،**انباء الهصر** ، القاهرة ١٩٧٠ ، ٣٦٦/١ ، ابن تغرى بردى ، **النجوم الزاهرة** ، ٢٦١/١٢ ، ابن اياس ، **بدائع الزهور** ، بولاق ١٣١١ ، ٣٠٠/١ ـ ٣٠١ ، عباس العزاوي ، العراق بين احتلالين ، بغداد ١٩٣٦ ، ٢١١/٢ ٠

ومما هو جدير بالذكر ان ابن خلدون عند حديثه عن قبيلة عباده وبعد ان حدد موطن سكناهم في البطائع ما بين البصرة والكوفة وواسط قال بان الامارة فيهم على ما يبلغنا لرجل اسمه قبان بن صالح وهو في عدد ومنعة ويفهم من عبارات ابن خلدون (ت ١٤٠٥/٨٠٨ ـ ٦) « لهذا العهد» وعلى «ما يبلغنا» ان ذلك كان وضع قبيلة عباده عندما كتب تأريخه ٠ وهذا الامر يحملنا على القول بان قبان هذا من الممكن ان يكون ابن صالح بن جولان وانه خلف والده في الزعامه ٠ وان اصح ما ذهبنا اليه فيكون صالح بن جولان ما هو الا زعيم بني عبادة وانه اصبح حاكما للبصرة ، ثم منها مدى نفوذه الى البحرين وبذلك يكون قد ضم كافة بطون عقيل في هذه المنطقة تحت زعامته ٠ راجع تاريخ ابن خلدون ، بيروت ١٩٦٨ ، ٢٥/٦ ٠

١٢١) السخاوي ، **الضوء اللامع لاهل القرن التاسع** ، القاهرة ، ١٣٥٣ ـ ١٣٥٥ ، ١٧٥/٦ ، ١٧٣/١٠ ٠ كذلك انظر ابن حجر العسقلاني ، **انباء الغمر** ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ١٠٢/٣ ٠

١٢٢) Quotedin Aubin, 115 وراجع ايضا
Teixeira, 245

١٢٣) **جامع الدول** ، ٢ / ٤٠٤ (م٠ بايزيد) ٠

١٢٤) **جامع الدول** ، ٢/٤٠٤ :

١٢٥) مثال على تلك الدراسات ، ابحاث روتـون Rowton والتي سبق ذكرها ، كذلك دراسات روزنفيلد التي تناول بها التحولات الاجتماعية التي رافقت تكوين امارة ابن رشيد وهي :

Henry Rosen Feld ;

The Social Composition of the Military in Process of State Formation in the Arabian Desert, Part I & II, the J. of the Royal Anthropological Institute of G. Britain & Irland, Vol. 95, 1965 75-86 & 174-94.

ثم دراسة الشعفي حول التنظيم العسكري للدولة السعودية الاولى تحت عنوان :

M. El-Shaafy, The Military Organisation of the First Sa'udi State, The Annual of leeds University Oriental Socity, Vol. VIII, 1969-73, PP. 61-74.

واخيرا دراسة لينهارت Lienharat حول سلطة الشيوخ في الخليج العربي التي سبق الاشارة اليها ٠

١٢٦) **نهاية الارب** ، ١٠٦ ـ ١٠٧ ،**وصبح الاعشى** ، ٧/٣٧٠ ـ ٧١ ٠

١٢٧) القلقشندي ، **صبح الاعشى** ، ٧/٣٧٠ ـ ٧١ ٠

١٢٨) **الدور الكامنه** ، القاهرة ١٩٦٦ ، ١/٧٥ ٠

١٢٩) **رحلة ابن بطوطة** ١/١٣٩ ، **وعمدة الطالب** ، ١٤٦ ـ ٤٨ ، العصامي ، **سمط النجوم العوالي** ، ٤/٢٣٥ ٠

١٣٠) **عمدة الطالب** ، ١٤٩ ٠

١٣١) **سمط النجوم العوالي** ، ٤/٣٦٨ ـ ٦٩ ٠

١٣٢) **تحفـة المستفيد** ، ١/١١٩ ٠

١٣٣) ملح ، ذكرها ياقوت بأنها في بلاد البحرين ٠ اما محمد العبد القادر (التحفة ، ٢٨) فيرى بأنها قرية عامر قريبة من الكويت ٠ اما اذا

كان الشاعر قد قصد بها ملح ، فأن ياقوت قد ذكرها بأنها ناحية من نواحي الحساء وهي قرب انطاع ·

انطاع او نطاع ، قال عنها ياقوت بانها وادي ونخيل بين البحرين والبصرة ·

متالع ، جبل بناحية البحرين بين الودة والحساء ، وفي سطح هذا الجبل عين ماء يقال لها عين متالع ·

القرعاء ، وربما هي القرحاء ، قرية من قرى الحساء وقد تكون هي الجرعاء القديمة ، الميناء المعروف من عصر ما قبل الاسلام ، والتي حلت محل العقير · وقد ذكر الهمداني بأن الجرعاء سوق في الحسا على كتيب يسمى الجرعاء (**صفة جزيرة العرب** ، ٢٨١)· حول تحديد مواقع هذه الاماكن راجع **تحفة المستفيد** ، ٢٣ ، ٢٧ ـ ٢٩ ·

١٣٤) **عمدة الطالب** ، النجف ١٣٨٠/١٣٦١ ، ط٢ ، ١١٦ ·

١٣٥) **الضوء اللامع** ، ٩/٢٥٦ ـ ٢٥٧ ·